روايات مصرية للجيب

مغامرات ع × ٢

٣٥

قضية كنز القلعة

سلسلة الغاز بوليسية مثيرة للشباب

Looloo
www.dvd4arab.com

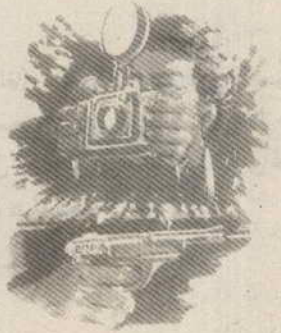

١ ــ المتسلِّل ..

ازدحمت قلعة (صلاح الدين) بالسائحين فى ذلك اليوم المشمس ، من بداية الشتاء ، وانهمك الدليل السياحى المصاحب لهم ، فى شرح مزايا المكان ، والإشارة إلى مواطن الجمال والحنكة والمهارة فيه ، مستعرضًا تاريخه ، وتاريخ مشيِّده (صلاح الدين الأيوبى)(*) ، والجميع يستمعون إليه فى شغف واهتمام بالغين ، وهم يدورون بأبصارهم فى المكان بانبهار واضح ، ويتساءلون فى أعماقهم عن ذلك الشعب العظيم ، الذين تَبهرهم إنجازاته وحضاراته وآثاره ، وهم الذين

(*) (صلاح الدين الأيوبى) : (٥٣٢ ــ ٥٨٩هـ / ١١٣٧ ــ ١١٩٣م) ، مؤسس الأسرة الأيوبية فى (مصر) ، وُلِد فى (تكريت) من أصل كردى ، عاش عشر سنوات فى بلاط (نور الدين محمود) ، وشارك عمه (أسد الدين شركوه) فى حملاته على (مصر) ، ووطَّد سلطانه هناك ، ونصَّب نفسه سلطانًا على (مصر) ، وحارب الصليبيِّين ، وهزمهم فى موقعة (حطِّين) ، واستعاد بيت المقدس (القدس) ، ولقد مات فى (دمشق) ودُفِنَ بها .

كانوا يتصوَّرون ، وهم فى طريقهم إليه ، أن وطنه (مصر) ، ليس سوى صحراء شاسعة ، يعيش فيها شعب من البدوِ الرُّحَّل ، يمتطى متن الجمال ، ويقيم فى خيام بدائية رَثَّة ، فإذا بهم يفاجئون ، منذ وَطِئَت أقدامهم أرض ميناء (القاهرة) الجوِّى ، بمدينة عظيمة ، وشعب متحضِّر ، وشوارع واسعة فسيحة ، وبنَايات شاهقة أنيقة ، وقوافل من السيارات الحديثة ، تفُوق ما يرونه ، حتى فى أشدّ مناطق أوطانهم ازدحامًا ..

كان كل شىء حولهم يَبهرهم بمعنى الكلمة ..

وكان الجميع مشدُوهين مبهُورين ..

فيما عدا واحدًا ..

رجلًا أشقر نحيلًا ، لم يسمع كلمة واحدة مما نطق به الدليل السياحى ، وهو يُجوِّل بعينيه الزائغتين المحمرتين فى المكان ، كما لو كان على موعد مع الشيطان ، أو ينتظر لقاء شبح من الأشباح ..

وفجأة ، توقَّفت عينا الأشقر عند باب حجرى صغير ، يقود إلى الدَّرج المؤدى إلى أحد أبراج القلعة ، وقرأ فى سرعة تلك اللافتة الصغيرة ، المثبتة إلى جوار الباب ، والتى تقول

كلماتها ، المدوَّنة باللغات الثلاث ؛ العربية ، والإنجليزية ، والفرنسية ، أن ولُوج هذا الباب ، والصعود إلى البرج محظُوران ، نظرًا لما يكتنفهما من مخاطر ، ولحاجتهما إلى بعض الترميمات ..

ولكن الأشقر تجاهل ذلك التحذير تمامًا ..

لقد انتظر لحظة ، انشغل عنه فيها الجميع ، بمطالعة بعض نقوش الجدران ، التى يشرحها الدليل ، ويترجمها فى حماس ، وتسلَّل إلى ذلك الباب الصغير ، وَعَبَرَ إلى جوار اللافتة التحذيرية ، وهو يدلف إلى الدَّرج ، ويختبئ فى ركن مظلم أسفله ..

ولو أن شخصًا رأى ذلك الأشقر عن قُرب ، فى تلك اللحظة ، لهاله مظهره ، فقد كان يرتجف على نحو واضح ، وقد شَحُب وجهه فى شدة ، وانهمر العرق الغزير على جبهته ، وكأنما صار الموت على قيد خطوة واحدة منه ، وهو ينكمش فى مخبئه ، انتظارًا لانصراف الدليل والسائحين ..

وبدت له تلك الدقائق العشر ، التى استغرقها أولئك ، حتى غادروا القاعة ، أشبه بدهر كامل ، كاد قلبه يتوقَّف خلالها عشرات المرَّات ، حتى خلت القاعة تمامًا ، وزَانَ

عليها الصمت والسكون ، فبدا له صوت أنفاسه اللاهثة كدوىّ عشرات المدافع ، من فرط الانفعال ، حتى أنه حاول أن يكتم أنفاسه غريزيًا ، وهو يغمغم :

ــ رُوَيْدك يا (جاك) .. رُوَيْدك .. لن يكشف أمرك أحد .. حاول أن تسيطر على أعصابك .

وجفَّف عرقه الغزير فى عصبيَّة ، قبل أن يتمم مستطردًا :

ــ الأمر بسيط للغاية .. إنك ستصعد إلى الموقع ، الذى حدَّدته الخريطة ، وتحصل على ما تريد ، ثم تدَّعى بعد ذلك أنك قد ضللت الطريق ، ولن يشكّ فى أمرك أحد .. الأمر بسيط حقًا .

كان يحاول أن يطمئن نفسه بتلك التَّمتمة ، إلا أنه من العجيب أن أعصابه قد ازدادت توتُّرًا ، حتى أنه قد ارتجف على نحو ملحوظ ، ثم انعقد حاجباه ، وبدا وكأنه قد حسم أمره أخيرًا ، فانتزع نفسه من مكمنه فى حدَّة ، واندفع فجأة يصعد الدَّرج القديم ، وهو يهتف فى خُفوت :

ــ اللَّعنة !.. فلتتم المهمَّة ، ولننصرف من هنا ، و .....

وفجأة ، جحظت عيناه ، عندما ارتجفت إحدى الدَّرجات أسفل قدمه فى قوة ، وصرخ فى رُعب :

ــ النَّجدة !!

وفجأة ، جحظت عيناه ، عندما ارتجفت إحدى الدَّرجات أسفل قدمه فى قوة ، وصرخ فى رُعب : ــ النَّجدة ..

ثم امتدَّت صرخته عالية مدوّية ، عندما هوَى به الدَّرج ، وهوَت الصخور فوق رأسه ، وارتطم بالأرض فى صوت مرتفع ، وانطلقت من حنجرته صرخة أخيرة ، تجمع ما بين الألم والرُّعب ، قبل أن تخمد أنفاسه ..

إلى الأبد ..

* * *

دسَّ العقيد (خيرى) كفَّيه فى جيبى سِرْوَاله ، وانعقد حاجباه فى شدة ، كعادته كلَّما أقلق نفسه أمر ما ، وهو يتطلَّع إلى جثة الأشقر ، التى التفَّ حولها رجال المعمل الجنائى ، وبعضهم يلتقط صور القتيل والمكان ، والبعض الآخر يبحث فى المكان ، منقِّبًا عن أدلَّة أو قرائن ، واقترب أحدهم من العقيد (خيرى) ، وهو يحمل جواز سفر الأشقر ، وناوله للعقيد ، الذى تناوله فى روتينية ، وفتحه ، ومطَّ شفتيه لحظة ، ثم أخذ يقرأ بياناته فى صوت خافت ، مغمغمًا :

ـــ (جاك مارتين) .. فرنسى الأصل والمولد ، مهندس معمارى ..

ثم تنهَّد ، وهو يُغلق الجواز ، مستطردًا :

ـــ ولقد حضر منذ يومين .

عاد يعقد حاجبيه فى تفكير ، على حين غمغم الرجل المرافق له :

ـــ يبدو أنه حادث عرضى .

أجابه العقيد (خيرى) ، دون أن يلتفت إليه :

ـــ كيف ؟!.. لقد كانت هناك لافتة تحذِّره من الدخول إلى هنا .

هزَّ الرجل كتفيه ، وقال :

ـــ ربما كان هذا هو نفسه ما دفعه إلى الدخول ، فبعض هؤلاء الأجانب تستثيرهم الأماكن الممنوعة ، ويتصوَّرون أنهم سيجدون داخلها كنوز الدنيا كلها ، وقد يدفعهم هذا إلى المخاطرة بأنفسهم ، كما حدث مع (جاك مارتين) هذا .. أراهنك أنه قد تسلَّل إلى هنا ، حتى يلتقط صورة نادرة ، فتهاوَى به الدَّرج .

ازداد انعقاد حاجبى العقيد (خيرى) ، وهو يقول :

ـــ عجبًا !!.. أمن الممكن أن يدفع الفُضول رجلًا إلى حَتْفِهِ هكذَا ؟!.. إن ذلك يذكرنى بـ .....

قاطعه صوت مرح يقول :

ـــ بى أنا .

التفت العقيد (خيرى) إلى مصدر الصوت فى شرُود ، وقال وهو يتطلَّع إلى صاحبه بعينين خاويتين :

ــ مرحبًــا يا (عصام) .. كنت أعلــم أنك ستصل بسرعة .

ابتسم (عصام) ، صحفى قسم الحوادث ، وهو يقول :

ــ إنها مهنتى يا سيادة العقيد .

أشار العقيد (خيرى) إلى جثة (چاك) ، وقال :

ــ لا بأس يا (عصام) .. ها هى ذى قضيــة جديــدة أمامك .

ثم أضاف فى لهجة ساخرة :

ــ بدون (عماد) و (عُلا) .

عقد (عصام) حاجبيه فى ضيق ، لما ينطوِى عليه تلميح العقيد (خيرى) الساخر من مغزًى ، وقال فى تحدٍّ :

ــ إنها ليست أوَّل قضيــة لى ، بدون (عمــاد) و (عُلا) ، وأنا ما زلت أراك مخطئًا فى حقِّهما ، لمنعك لهما من مزاولة ما يعشقه عقلاهما .

قال العقيد (خيرى) فى صرامة :

ــ إنها لُعبة تفُوق عمريهما .

هتف (عصام) فى غضب :

ــ ألم تنتبه إلى ذلك سوى الآن ؟ بعد أن صارا من أذكى محقِّقى الجرائم فى العالم !!.. صدِّقنى يا سيادة العقيد .. إنك تخطئ فى حقِّهما ، وتحرمهما متعتهما .

قال العقيد (خيرى) فى حدَّة :

ــ وأُقيهما المخاطر ، التى كادت تُوردهما حَتْفَهما فى أكثر من مرَّة .

لوَّح (عصام) بذراعه فى سُخط ، وهو يقول :

ــ حسنًا .. لن أناقشك فى ذلك ، فأنت والدهما .

ثم استطرد فى حزم :

ــ ولكننى أخالف زميلك فى نظرية الفُضُول هذه .

سأله رجل المعمل الجنائى فى برود :

ــ ولماذا ؟

أشار (عصام) إلى الجثة ، وهو يقول :

ــ لسبب بسيط ، وهو أن الرجل لم يكن يحمل آلة تصوير ، كما هو واضح .

احتقن وجه رجل المعمل الجنائى ، حينما تنبَّه إلى أنه لم يلحظ ذلك فى حينه ، وغمغم فى حَنَق :

ـ ربما كان يسعى للرؤية فحسب .

هزَّ (عصام) كتفيه ، وقال وهو يعدُّ آلته التصويرية :

ـ ربما .

وقبل أن يضع عينيه على عدسة الآلة ، غمغم بغتة :

ـ ما هذا ؟

سأله العقيد (خيرى) فى اهتمام :

ـ ماذا هناك ؟

أشار (عصام) إلى قبضة القتيل المضمومة ، وهو يقول :

ـ هذا .. إنه يمسك فى يده ورقة ما .

أسرع رجل المعمل الجنائى نحو الجثة ، واستخلص الورقة من كفِّها فى رفق ، ولم يكد يطلع عليها ، حتى انعقد حاجباه فى شدة ، والتفت إلى (عصام) ، قائلًا :

ـ يبدو أننى أدين لك بالاعتذار يا أستاذ (عصام) ، فالفُضُول لم يكن دافع الرجل للوصول إلى هنا .

ثم أدار الورقة نحو (عصام) والعقيد (خيرى) ، اللذين شهقا فى دهشة ، حينما وقع بصرهما على خريطة القلعة ، المرسومة على الورقة بدقة ، والتى تحوى علامة حمراء

واضحة ، عند تلك النقطة ، التى تمَّ العثور فيها على جثة القتيل ..

وفى حزم ، التفت (عصام) إلى العقيد (خيرى) ، قائلًا :

ـ لست أدرى ماذا أقول يا سيِّدى ، ولكننى واثق من أنه لن يمضى وقت طويل ، حتى يعود الفريق إلى العمل .. فريق (ع × ٢) ..

* * *

٢ ــ اللُّغز ..

« مستحيل يا (عصام) .. مستحيل .. مستحيل .. مستحيل ..» ..

نطق الدكتور (على) الطبيب الشرعى الشاب ، بتلك العبارة فى غضب وإصرار ، وهو يلوّح بكفّه فى وجه (عصام) ، الذى ظلّ محتفظًا بهدوئه ، وهو يقول :

ــ لماذا يا دكتور (على) ؟!..

هتف الدكتور (على) فى حدّة :

ــ لأنك تطلب أمرًا غير قانونى يا (عصام) .. إن كل متعلقات القتيل محرَّزة هنا ، ولا يمكن الاطلاع عليها بدون إذن من النيابة .

ابتسم (عصام) فى هدوء ، وهو يقول :

ــ رُوَيْدك يا عزيزى .. أنت توافقنى بالتأكيد ، على أن تلك التعقيدات الروتينية تستغرق وقتًا سخيفًا .. أليس كذلك ؟

أجابه الدكتور (على) فى عناد :

ــ بلَى ، ولكنه القانون .

عقد (عصام) حاجبيه ، وقال فى صرامة :

ــ حسنًا يا دكتور (على) .. سأتذكّر ذلك جيّدًا ، وسأحرص دَوْمًا على أن تظلّ تعاملاتنا وعلاقتنا فى حدود القانون فحسب .

غمغم الدكتور (على) :

ــ إننى لم أقصد ذلك .

أجابه (عصام) فى صرامة :

ــ ماذا تقصد إذن ؟.. لقد جئتك اليوم كصديق ، أنشد معاونتك فحسب ، فإذا بك تطالبنى بالأوراق والتصريحات القانونية .

تنهَّد (على) ، وقال فى عصبيَّة :

ــ هل تنوى إحاطتى بخزعبلاتك الصحفية ؟

هتف (عصام) فى استنكار :

ــ ماذا ؟.. يا للعار !.. إننى ذاهب يا صديقى السابق ، قبل أن تتمادى فى إهانتك لى ، و .....

قاطعه الدكتور (على) فى توتر :

ـ حسنًا .. حسنًا .. أعلم أنها تمثيلية درامية ، للوصول إلى هدفك ، ولكن .....

صمت لحظة ، قبل أن يستطرد فى خفوت :

ـ ما الذى تريد رؤيته بالضبط ؟

تلاشى الانفعال بغتة من وجه (عصام) ، وحلَّ الاهتمام الشديد محلَّه دفعة واحدة ، وهو يميل نحو الدكتور (على) ، قائلًا بنفس اللهجة الحتامية :

ـ أريد رؤية كل ما كان يحمله ذلك الفرنسى القتيل .

زفر الدكتور (على) ، وهو يغمغم :

ـ كنت أعلم ذلك .

ثم اتجه نحو خزانة من الصلب فى الركن ، وفتحها فى عصبيَّة واضحة ، والتقط من داخلها كيسًا من النايلون ، يحوى بضعة أشياء ، ناوله إلى (عصام) قائلًا :

ـ هذا كل شىء .

ثم استدرك فى حدَّة :

ـ وحَذَارِ أن تمسَّ شيئًا .

ابتسم (عصام) ، وهو يقول فى شَغَف :

ـ اطمئن .

ثم راح يفحص محتويات الكيس فى اهتمام شديد ..

كان الكيس يحوى جواز سفر القتيل ، وتلك الخريطة للقلعة ، وعددًا من الدولارات الأمريكية ، ومُدية سويسرية كبيرة ، ذات استخدامات متعدِّدة ، وعلبة سجائر فرنسية ، وقدَّاحة ، وقلم حبر جافًا ، وورقة ..

وكان أكثر ما جذب انتباه (عصام) هو هذه الورقة ..

لقد كانت عبارة عن ورقة بيضاء ، تحوى عبارة فرنسية ، وعددًا من الأرقام ، فى ثلاث مجموعات متوازية ..

ولقد بدت تلك الورقة لـ (عصام) مثيرة للدهشة والحَيْرَة ، على الرغم من أنه لم يفهم شيئًا مما تحويه ، فغمغم فى ضيق :

ـ يا إلهى !!.. لو أمكننى حفظ كل ذلك !

وفجأة ، برقت فى رأسه فكرة ، فأعدَّ آلة التصوير ، وهو يصوِّب عدستها نحو الورقة ، ولكن الدكتور (على) هتف به فى ذُعر :

ـ ماذا ستفعل أيها التعس ؟

أجابه (عصام) فى هدوء :

ـ سألتقط صورة واحدة .

هتف الدكتور (على) :

ـــ حَذَارِ أن .....

وقبل أن يتمَّ عبارته ، التى لم يَدرِ أحَدٌ ماذا كانت تعْنِى ، سطع مصباح آلة التصوير ، فانعقد حاجبا الدكتور (على) فى سُخط ، وهتف فى حدَّة :

ـــ أيَّة سخافة هذه ؟.. أتحب أن أفقد عملى ؟

ضحك (عصام) ، وهو يقول :

ـــ اطمئن يا صديقى .. لن يحدث هذا ، فهم يعانون نقصًا فى عدد الأطباء الشرعيين .

عقد الدكتور (على) حاجبيه فى غضب ، وهو يقول :

ـــ اسمع يا (عصام) .. لن أسمح لك بنشر تلك الصورة ، و .....

قاطعه (عصام) فى هدوء :

ـــ ومن قال إننى أزمع نشرها يا صديقى ؟

تطلَّع إليه الدكتور (على) فى دهشة وحَيْرَة ، فاتسعت ابتسامته ، وهو يستطرد :

ـــ إنها مجرَّد دليل .. دليل غامض ..

* * *

لم يَدْرِ (عصام) لماذا شعر بمزيج من التوتُّر والرَّهبة ، على ضوء مصباح غرفة إظهار الصور ، الأحمر الخافت ، وهو يطبع صورة الورقة فى منزله ، على الرغم من اعتياده ذلك الضوء الخافت ، بحكم طبيعته كصحفى ، وهوايته كمصوِّر ، ولم يكد ينتهى من إظهار الصورة ، ويتأكَّد من وضوحها وجودتها ، حتى تنهَّد فى ارتياح ، ووضعها فى مجفف الصُّور ، وذهب ليصنع لنفسه قدحًا من الشاى ، وعندما انتهى من إعداده ، كانت الصورة قد جفَّت ، فحملها معه إلى حجرة مكتبه ، ووضعها أمامه ، وراح يتطلَّع إليها فى اهتمام بالغ ، وهو يرتشف الشاى ..

وتضاعفت حَيْرَته عشرات المرَّات ..

لقد بدت له محتويات الورقة أشدّ غموضًا ، وهو يطالع تلك الصفوف الثلاثة المتوازية من الأرقام ، التى لم تحوِ ـــ فى نظرة ـــ أى معنى ، فعاد ينقِّل بصره إلى تلك العبارة الفرنسة ، التى لم يفهم معناها ، نظرًا لضعف لغته الفرنسية ، فزفر فى حَنَق ، وهو يقول :

ـــ يا للسخافة !

وألقى الصورة جانبًا فى سُخط ، ثم نهض مستطردًا :

ـ أراهن أنها مجرّد أرقام سخيفة .

ثم توقّف لحظة ، وعاد يلقى نظرة على الورقة ، مردفًا فى توتُّر :

ـ أو لُغز غامض ، يحتـاج إلى الفريـق .. فريـق (ع × ٢) ..

* * *

زفر الدكتور (على) فى حَنَق ، لم يفارقه منذ انصراف (عصام) ، وبدا للجميع شديد العصبيَّة فى ذلك المساء ، وهو يستعد لفحص متعلقات (چاك مارتين) ، فقال له رئيسه فى قلق :

ـ يمكنك أن تترك المهمَّة لغيرك ، لو أنها تُورثك كل هذا القلق .

أجابه (على) فى توتُّر :

ـ كلَّا .. سأنهيها أنا ..

غمغم رئيسه :

ـ لا أحد يرغمك على ذلك ، ولو أنك .....

قاطعه (على) فى حدَّة :

ـ قلت إننى سأتولَّى المهمَّة بنفسى .

انتبه فجأة إلى أنه يخاطب رئيسه على نحو غير لائق ، يجافى الذوق واللياقة ، وقواعد الوظيفة ، فامتقع وجهه ، وهو يغمغم :

ـ معذرة يا سيِّدى .. إننى لم .....

قاطعه رئيسه :

ـ لا عليك يا (على) .. إننى أقدّر ذلك .

لم يكن للعبارة أى معنى ، فرئيسه لم يكن يعلم ما هو ذلك ، الذى سيقدّره ، ولكنه أراد أن يمتصَّ توتر الدكتور (على) بالعبارة ، قبل أن يضيف :

ـ هل ستفحص تلك الأشياء غدًا ؟

أجابه (على) فى حزم :

ـ بل اليوم .

ثم أضاف فى خُفوت :

ـ سأبقَى بعض الوقت لإنهاء العمل .

تنهَّد رئيسه ، وقال :

ـ لا بأس يا (على) .. أظن أن هذا أفضل ، فهم يتعجَّلون النتائج فى الداخلية .

انصرف الجميع ، وتركوه وحده فى معمل الطب الشرعى ،

وأمامه ذلك الكيس ، الذى يحوى متعلقات (چاك) ، فراح يفضُّ أختامه فى عصبيَّة ، وأفرغ محتوياته أمامه ، وهو يغمغم فى حدَّة :

ــ تبًّا لك يا (عصام) .. لقد أهبت أعصابى تمامًا .

زفر أكثر من مرَّة ، وكأنما يحاول أن يفرغ عصبيَّته ، ثم اعتدل ، وتنحنح ، وبدأ يفحص المتعلقات ..

كان عمله يقتصر على رفع البصمات ، وتحليل الأتربة والغبار ، بحثًا عن أيَّة أدلة أو قرائن ، ولقد انهمك تمامًا فى هذا العمل ، حتى أنه لم يعُد يشعر بما يحدث خلفه ..

ثم جاء دور الورقة الغامضة ..

وأمسك (على) الورقة فى اهتمام ، وفحصها طويلًا ، ثم هزَّ رأسه فى حَيْرَة ، مغمغمًا :

ــ يبدو أن (عصام) على حقّ .. هذه الورقة تبدو وكأنها تحوى لُغزًا شديد التعقيد .

انعقد حاجباه ، وهو يقرأ صفوف الأرقام الثلاثة المتوازية فى اهتمام شديد ، وفجأة ، شعر بحركة مريبة خلفه ، فاستدار فى سرعة ، ثم جحظت عيناه فى قوة ، وتراجع فى حدَّة تسبَّبت فى سقوطه بمقعده إلى الخلف ..

فأمام وجهه مباشرة كان هناك رجل صارم الملامح ..

وكان هذا الرجل يصوِّب مسدسًا ، إلى رأسه هو مباشرة ..

* * *

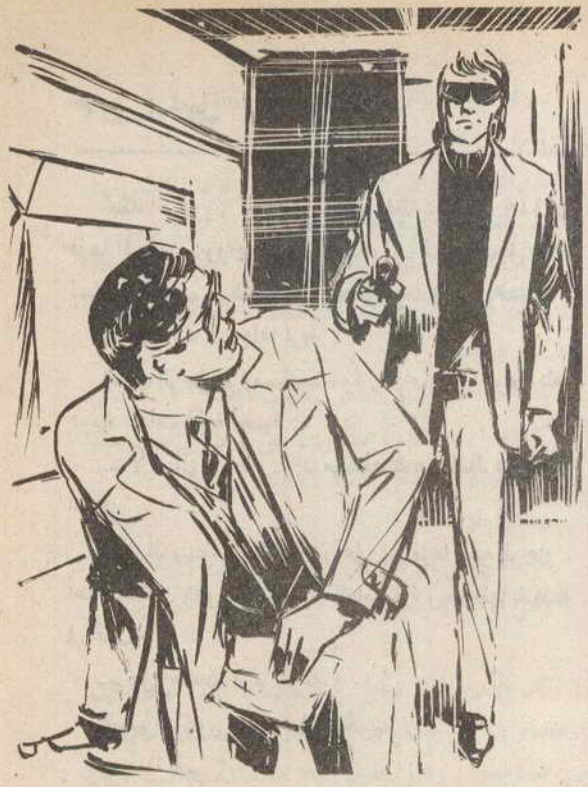

وفجأة ، شعر بحركة مريبة خلفه ، فاستدار فى سرعة ..

٣ ــ الخطر ..

تجمَّد الدكتور (على) فى سقطته لحظات ، وهو يحدّق فى فُوَّهة المسدَّس ، ووجه صاحبها فى ذُهُول ، قبل أن تنحلَّ عقدة لسانه ، فيغمغم فى شُحُوب ، وبصوت متحشرج مختنق :

ــ من أنت ؟.. ماذا تريد ؟

جذب الرجل إبرة مسدَّسه ، وقال فى صرامة وحزم ، بلغة عربية ، ذات لكنة أجنبية :

ــ لا تسأل يا رجل .. إن مهمَّتك تقتصر فقط على إجابة أسئلتى .

وقبل أن يستوعب الدكتور (على) تمامًا ما يَعْنِيه الرجل ، أضاف هذا ، وهو يلتقط الورقة الغامضة ، ويضغطها بقبضته فى عُنف :

ــ هل أطلعت عليها غيرك ؟

غمغم الدكتور (على) فى شُحُوب :

ــ ماذا تَعْنِى ؟

قال الرجل فى خشونة :

ــ لا تتظاهر بالغباء ، وأجب ، هل أطلعت أحدًا غيرك على تلك الورقة ؟

نقَّل الدكتور (على) عينيه بين الورقة وفُوَّهة المسدَّس ، فى دهشة وذُعر ، ثم غمغم فى حَيْرَة :

ــ وهل تَعْنى هذه الورقة شيئًا ؟

هَوَت قبضة الرجل على فكِّه فجأة ، بلكمة قوية ، وهو يهتف فى غضب :

ــ قلت لك لا تُلْقِ أسئلة .. أجب فقط .

كان هذا يفُوق قدرة الدكتور (على) على الاحتمال ؛ لذا فقد قفز فجأة واقفًا على قدميه ، وصاح فى غضب :

ــ أيها الوغد !!

ثم انقضَّ على الرجل ..

وعلى فُوَّهة المسدَّس ..

* * *

كان الأمر يزداد تعقيدًا وغموضًا ، كلَّما أوغل فيه (عصام) ، على عكس ما كان ينتظر ، فلقد قضى ما يقرب من الساعتين ، وهو يحاول إيجاد علاقات رياضية ، بين

صفوف الأرقام الثلاثة ، فضرب كلًا منها فى رقم ثابت ، أو قسمها على رقم ثابت ، وطرح كلًا منها من الآخر ، ثم عاد يجمعه ، ويضيف إليه عدد الأرقام فى كل سطر ، وهكذا ، دون أن يحصل على علاقة رقمية منطقية واحدة ، فألقى الصورة من يده ، وهو يهتف فى سُخط :

ــ أيّة سخافة هذه ؟!

امتلأت نفسه بالحَنَق ، وهو يهبُّ من مقعده ، ويسير فى أرجاء حجرة مكتبه فى حدَّة وعصبيَّة ، قبل أن يتوقَّف فجأة ، ويهتف :

ــ العبارة !!

ثم اندفع نحو مكتبه ، وراح يبحث فى انفعال عن قاموس للغة الفرنسية ، وهو يتمتم فى حَنَق :

ــ كان ينبغى أن أستمع إلى نصيحة رئيس القسم ، عندما أشار علىَّ بتعلُّم الفرنسية .. أُقسم أن أفعل ، فور الانتهاء من تلك القضية .

وأخذ يبحث فى صفحات القاموس فى اهتمام ، حتى توقَّف عند كلمة تطابق إحدى كلمتى العبارة الفرنسية ، فقال فى انفعال :

ــ حسنًا هذه الكلمة تُغنى (المفقود) .. عظيم .. إذن فهذه الأرقام تشير إلى شىء ما مفقود ، بوسيلة شفرية ، وهناك رقم (سبعة) فى نهاية العبارة ، وهذا قد يَغنى (المفقود رقم سبعة) ..

قلَّب صفحات القاموس فى لهفة ، حتى توقَّف عند الكلمة الأخرى ، ولم يكد يقرؤُها ، حتى اتسعت عيناه فى ذُهُول ، وسقط فوق مقعده ، هاتفًا :

ــ يا إلهى !!.. لقد كان حل اللُّغز يكمن هنا .. لقد عرفت ما الذى نبحث عنه .. عرفت حل لُغز تلك الأرقام ..

* * *

جمع الدكتور (على) كل ما يملك من غضب وقوة ، وَلَكَمَ المعتدى المجهول فى فكِّه ، ولكن الرجل ، الذى بدا هادئًا على نحو عجيب ، تفادَى اللَّكمة فى بساطة ، وأبعد قُوَّهة مسدَّسه عن صدر الدكتور (على) وكأنما يخشى أن تنطلق منه رصاصة بسبيل الخطأ ، واستقبل هذا الأخير بلكمة كالقنبلة فى معدته ، انثنى لها الدكتور (على) ، وهو يتأوَّه فى ألم ، فأضاف إليها الرجل لكمة أخرى عنيفة ، ازَّجَّ لها رأس الدكتور (على) ، وهو يسقط أرضًا فى عُنف ، على حين قال الرجل فى غضب وصرامة :

ـ أجب أيها المصرى ، لو أنك ترغب فى العيش ، هل يعلم غيرك فَحْوَى هذه الورقة ؟

جاء جواب الدكتور (على) على هيئة انقضاضة أخرى ، أطاح خلالها بمسدّس الرجل ، بركلة مباغتة ، قبل أن يتشبّث بعنقه ، هاتفًا :

ـ ولماذا تسأل أيها الوغد ؟

هوَى الرجل على فكّه بلكمة هائلة ، وهو يجيب :

ـ لأنه من الضرورى أن أعلم .

ثم قفز نحو الدكتور (على) فى سرعة ، وأحاط عنقه بساعده ، وراح يعتصره فى عُنف ، وهو يقول فى حدّة :

ـ من يعلم غيرك ؟.. من ؟

شعر الدكتور (على) بآلام رهيبة فى عنقه ، وبحاجة ماسّة لاستنشاق الهواء ، فغمغم فى ألم :

ـ (عصام) .. (عصام كامل) .

سأله الرجل فى صرامة ، وهو يشدّد من ضغط ساعده على عنقه :

ـ من (عصام كامل) هذا ؟

هتف الدكتور (على) ، فى صوت رجل يلفظ أنفاسه الأخيرة :

ـ (عصام كامل) .. صحفى قسم الحوادث ، و .....

وفجأة ، دفع قدمه بين ساق الرجل ، الذى تأوّه فى ألم ، وترك خصمه على الرغم منه ، فاندفع الدكتور (على) يركض نحو باب المعمل ، وهو يهتف :

ـ النجدة !! النجدة أيها الحرّاس !!

قفز الرجل نحو مسدّسه ، والتقطه فى سرعة ، وهو يهتف :

ـ أيها اللّعين !!

ثم صوّب مسدّسه نحو رأس الدكتور (على) ، وأطلق النار ..

* * *

عجز (عصام) عن النوم تمامًا ، على الرغم من أن عقارب الساعة قد تجاوزت الثانية صباحًا ، من فرط انفعاله ، وسعادته بما توصّل إليه ، فنهض من فراشه ، وأضاء المصباح الصغير المجاور له ، والتقط صورة الورقة ، وراح يطالع تلك العبارة الفرنسية ، التى ترجمها ، فى فخر واعتزاز بالغين ، ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه ، وتلاشى زهوه ، وهو يغمغم :

ـ اللّعنة !! ولكن هذا لا يحلُّ شيئًا .

كان قد توصّل بالفعل إلى معنى العبارة الفرنسية ، وإن

عجز عن فهم معنى الرقم (سبعة) إلى جوارها ، ولا مغزى تلك الأحرف الثلاثة أسفلها .. وعاد الأمر يبدو له غامضًا ..

الصفوف الثلاثة المتوازية من الأرقام ، ما زالت بنفس الغموض المُبْهم .. ما زال يجهل المفتاح ، الذى يجعلها ذات معنى ..

ودون أن يجد لذلك ما يبرِّره ، فى غمرة ما يشعر به من حماس وانفعال ، أخذ النوم يداعب جفنيه فى إلحاح ، فأطفأ المصباح المجاور لفراشه ، ورقد فيه مستسلمًا للنوم ..

وفجأة ، دقَّ جرس الهاتف ..

دقَّ على نحو مباغت ، جعله ينتفض فى فراشه ، وجعل دقَّات قلبه تتسارع فى عُنف ، قبل أن يختطف سمَّاعة الهاتف ، ويضعها على أُذنه ، هاتفًا فى صوت لاهث منفعل :

ــ هنا (عصام كامل) .. من المتحدِّث ؟

عاد جسده ينتفض ، عندما سمع على الجانب الآخر صوتًا يقول :

ــ إنه أنا .. العقيد (خيرى) .

لم يكن من المعتاد أبدًا أن يتصل به العقيد (خيرى) ، لذا فقد ألقى نظرة دهشة على الساعة ؛ ليتأكَّد من أنها قد تجاوزت الثانية صباحًا ، قبل أن يغمغم :

ــ ماذا هناك يا سيادة العقيد ؟

أجابه العقيد (خيرى) فى صوت هادئ ، يحمل رنَّة توحِى بأهمية وخطورة الأمر :

ــ هل يمكنك أن تأتى إلى مكتبى على الفور ؟

عاد (عصام) يكرِّر ، فى قلق بالغ :

ــ ماذا هناك ؟

أجابه العقيد (خيرى) :

ــ إنه أمر يتعلق بصديقك الطبيب الشرعى ، الدكتور (على) .

كادت قبضة (عصام) تعتصر سمَّاعة الهاتف ، وهو يهتف :

ــ ماذا أصابه ؟.. ماذا حدث له ؟

مضت لحظة صمت قصيرة ، بدت لـ (عصام) كدهر كامل ، قبل أن يجيب العقيد (خيرى) :

ــ لقد أطلقوا عليه النار .

هتف (عصام) فى ذُهُول :

ــ ماذا ؟!

ثم هبَّ من مكانه ، مستطردًا فى حِدَّة وانفعال :

ـ سأحضر إليك على الفور يا سيادة العقيد .

ثم أعاد سمّاعة الهاتف ، وقفز إلى مشجبه ، وراح يرتدى ثيابه فى سرعة ، وهو يتساءل فى دهشة وجزع : لماذا أطلقوا النار على الدكتور (على)؟.. ومن هم هؤلاء الذين فعلوا؟..

ارتدى ثيابه فى سرعة ، والتقط صورة الورقة الغامضة فى آلية ، ودسّها فى جيبه ، ثم اندفع نحو الباب ، ولم يكد يفتحه حتى تراجع فى حركة حادّة ، والدهشة تملأ وجهه ، حينما وجد أمامه رجلًا يسأله فى هدوء :

ـ أأنت (عصام كامل) ؟

وقبل أن يَفُوهَ (عصام) بحرف واحد ، أكمل الرجل :

ـ إننى أحمل لك هدية .

وارتفعت فى وجهه فُوَّهة مسدّس قاتلة ..

* * *

٤ ـ انقلاب ..

لم يكن هناك من يمكنه أن يتصوَّر ، حتى (عصام) نفسه ، أنه من الممكن أن يواجه (عصام كامل) ، الشاب الهادئ ، كل هذه المواقف المثيرة فى حياته ..

وكان من المستحيل أن يتصوَّر مخلوق واحد ، قدرته على مواجهتها ..

ولكن (عصام) لم يعُد (عصام) ..

لقد حدث فى حياته انقلاب رهيب ، منذ فترة وجيزة ..

منذ التقى بـ (عماد) و (غُلا) ..

ومنذ اقتحام عالم الجريمة والمغامرات ..

إنه لم يعد أبدًا ذلك الشاب الوديع ، صاحب الطبيعة الزائدة ..

لقد صار مقاتلًا عنيدًا صلبًا ، لا يأبه بالمخاطر ، ولا يخشى الموت ..

وأكبر دليل على ذلك ، هو أنه لو واجه (عصام) نفس

هذا الموقف ، ورأى فوَّهة مسدَّس قاتل مصوَّبة إلى رأسه ، منذ عدة أشهر فقط ، لارتجف فى رُعب ، وتراجع فى ذُعر ، وتجمَّدت أطرافه فى هَلَع ..

ولكنه فى هذه المرَّة فعل العكس ..

العكس تمامًا ..

لقد تحرَّك فى سرعة أدهشت خصمه نفسه ، عندما انحنى فجأة ، مبتعدًا عن فُوَّهة المسدَّس ، ودفع قدمه فى معدة الرجل فى قوة ، فدفعه إلى الخلف ، مما أفقد الرجل توازنه ، فسقط متدحرجًا على درجات السُّلم ، ولم يكد يستعيد توازنه ، وينهض على قدميه ، حتى وجد (عصام) أمامه ، يركل مسدَّسه فى عُنف ، ثم ينقضّ عليه ..

ولكن الرجل لم يكن بالخَصم الهيِّن ..

لقد تفادى انقضاضة (عصام) هذه المرَّة ، وكال له لكمة فى معدته ، وأخرى فى فكِّه ، فأسقطه أرضًا ، وقفز فوقه ، إلا أن (عصام) استقبله بلكمة قوية فى أنفه ، أعادته إلى موضعه الأوَّل ، وهو يسبُّ ساخطًا ..

وقفز (عصام) محاولًا شلّ حركة خصمه ، إلا أن الرجل قفز جانبًا فى مهارة ، وأطلق صرخة قتالية مكتومة ، ثم دفع

انحنى فجأة ، مبتعدًا عن فُوَّهة المسدَّس ، ودفع قدمه فى معدة الرجل فى قوة ، فدفعه إلى الخلف ، مما أفقد الرجل توازنه ، فسقط ..

قدمه فى معدة (عصام) ، الذى شعر وكأن مطرقة من الصلب قد هَوَت على معدته ، ودفعته إلى الخلف فى عنف ، وهو يتأوَّه فى ألم ..

وفجأة ، لمست أصابع (عصام) مسدَّس الرجل ، فأحاط مقبضه بقبضته فى سرعة ، ورفعه فى وجه الرجل ، الذى بوغت بتلك المبادرة ، فتسمَّر مكانه لحظة ، و (عصام) يقول فى صرامة :

ــ انتهى الأمر يا رجل .. لقد خسرت .

خُيِّل إليه لحظة أن الرجل قد استسلم ، ثم فوجئ به ينحنى فجأة ، وكأنما يتفادى أيَّة رصاصة محتملة ، ثم يندفع هابطًا السُّلَّم كالصاروخ ، قبل أن ينهض (عصام) صائحًا :

ــ قِف أيها الوغد وإلا أطـ .....

لم يتمّ عبارته ؛ لأن الرجل كان قد مرق خارج بوَّابة المنزل ، وتناهَى إلى مسامع (عصام) صوت سيارة تنطلق فى سرعة ، فتسمَّر فى مكانه لحظة ، ثم ألقى نظرة ذاهلة على المسدَّس ، الذى يمسك به ، وكأنما يحاول أن يتيقَّن من أن كل ما حدث كان حقيقة ، قبل أن يدسَّ المسدَّس فى حزامه ، مغمغمًا :

ــ يبدو أن الأمر أعقد مما كنت تتصوَّر يا (عصام) .. أعقد بكثير .

* * *

نهض العقيد (خيرى) من خلف مكتبه ، يصافح (عصام) ، وهو يتطلَّع إلى وجهه ، قائلًا فى توتُّر :

ــ ماذا أصابك ؟.. إنك تمتقع الوجه فى شدَّة ، فكّك متورِّمة ، كما لو كنت قد تلقَّيت لكمة عنيفة .

تمتم (عصام) :

ــ إنه شجار بسيط .

ثم استطرد فى مزيج من القلق واللهفة :

ــ ماذا أصاب (على) ؟

عاد العقيد (خيرى) يجلس خلف مكتبه ، وهو يقول :

ــ لقد أطلقوا عليه النار .

هتف (عصام) فى عصبيَّة :

ــ أعلم ذلك .. هذا ما أخبرتنى به هاتفيًا .. إننى أسأل عن التفاصيل .

هزَّ العقيد (خيرى) رأسه نفيًا ، وقال :

ــ لا أحد يعلم التفاصيل .. لقد بقى بعد انصراف

الجميع ، لفحص متعلقات (چاك مارتين) ، ثم عثر عليه حارس الأمن مصابًا برصاصة فى رأسه .

هتف (عصام) فى ذُعر :

ــ فى رأسه ؟!

ثم استطرد فى هَلَعٍ :

ــ وهل ..... ؟

غُصَّة فى حلقه منعته من إتمام سؤاله إلا أن العقيد (خيرى) قد فهم ما يقصده ، فأجابه :

ــ كلَّا .. إنه لم يَمُت ، فلقد اصطدمت الرصاصة بجمجمته ، وانحرفت بعيدًا ، ولكنه فاقد الوعى ، وهم يبذلون أقصى طاقتهم لإسعافه .

تنهَّد (عصام) فى ارتياح ، وألقى جسده فوق أقرب مقعد إليه ، ودفن وجهه بين كفَّيه لحظات ، حتى هدأ انفعاله ، فرفع رأسه إلى العقيد (خيرى) ، قائلًا :

ــ لماذا استدعيتنى إذن ؟

عقد العقيد (خيرى) حاجبيه فى حزم ، وهو يقول :

ــ لقد فضَّلت أن ألقى عليك بعض أسئلة ، بدلًا من أن يفعل وكيل النيابة ذلك .

اعتدل (عصام) ، وهو يسأله :

ــ أيَّة أسئلة ؟

مال العقيد (خيرى) نحوه ، قائلًا :

ــ يقول زملاء الدكتور (على) إنك آخر من زاره فى مكتبه ، وإنه قد ظلَّ بعد زيارتك عصبيًّا ، حتى أصرَّ على أن يبقى وحده ، بعد انصراف الجميع ؛ ليفحص متعلقات (چاك مارتين) .

غمغم (عصام) فى عصبيَّة :

ــ هل تتَّهمنى بمحاولة قتله ؟

ابتسم العقيد (خيرى) ، وهو يقول :

ــ كلَّا بالطبع ..

ثم مال نحوه ، مستطردًا فى حزم :

ــ ولكننى أسألك عن سرِّ زيارتك له .

تردَّد (عصام) لحظة ، ثم تمتم :

ــ مجرَّد زيارة عادية .

خُيِّل إليه لحظة أن العقيد (خيرى) لم يستمع إلى الجواب ، أو أنه لم يكن يهتمّ بسماعه ، عندما قال فى هدوء ، متجاهلًا سؤَاله السابق :

ـ بالمناسبة .. لقد عثرنا على كل مقتنيات (جاك مارتين) ، التى كان يقوم بفحصها ، سليمة ، فيما عدا ورقة واحدة .

هتف (عصام) :

ـ الورقة ذات الأرقام ؟!

انعقد حاجبا العقيد (خيرى) ، وهو يسأله بغتة فى صرامة :

ـ كيف عرفت ؟

انتبه (عصام) ، فى تلك اللحظة فقط ، إلى الفخ ، الذى أوقعه فيه العقيد (خيرى) ، فغمغم فى توتُّر :

ـ عرفت ماذا ؟

نهض العقيد (خيرى) من خلف مكتبه ، واعتمد براحته على سطحه ، وهو يقول فى حزم وصرامة :

ـ اسمع يا (عصام) .. إننى أميل إليك ، وأتعامل معك دَوْمًا ، كما لو كنت أخًا صغيرًا لى ، ولكننى أكره أن يعبث بى أخى الصغير .. لقد كنا معًا ، عندما رأيت أنت جثة (جاك مارتين) للمرَّة الأولى ، وأعلم جيِّدًا أنك لم تَرَ تلك الورقة ذات الأرقام ، فكيف علمت بوجودها ؟.. وقبل أن تجيب ،

اعلم جيِّدًا أننى أكره من يحاول خداعى ، أو يقابل ثقتى بالكذب .

تردَّد (عصام) طويلًا ، ثم غمغم فى لُحُوت :

ـ أتِعِدُنى بأنك لن تسجِّل جوابى هذا رسميًّا ؟

أجابه العقيد (خيرى) فى حزم :

ـ أعِدك .

تنهَّد (عصام) ، وأجاب :

ـ حسنًا .. (على) أخبرنى بأمر الورقة ، ولقد .....

صمت لحظة أخرى ، قبل أن يستطرد فى توتُّر :

ـ ولقد التقطت لها صورة .

هتف العقيد (خيرى) :

ـ التقطت لها صورة ؟!

ثم تهلَّلت أساريره ، وهو يربِّت على كتفى (عصام) فى حرارة ، هاتفًا :

ـ يا إلهى !!.. هذا أروع ما فعلت يا (عصام) .. هذا يغفر لك أى خطإ آخر .

سأله (عصام) فى حَيْرَة :

ـ أهِىَ مهمَّة إلى هذا الحدّ ؟

هتف العقيد (خيرى) :

ـــ بالتأكيد .. لقد كاد رجل يُقتَل من أجلها ، ألا يؤكّد هذا أهميتها ؟

ثم عاد يميل نحوه ، مستطردًا فى لهفة :

ـــ أين الصورة يا (عصام) ؟

وضع (عصام) يده فى جيبه ، وهو يقول :

ـــ هنا .

ثم اتسعت عيناه فى ذُعر ، وراح يقلّب جيبه فى هلع ، فهتف به العقيد (خيرى) :

ـــ (عصام) .. لا تقل إنك قد فقدتها .

شَحُبَ وجه (عصام) ، وهو يقول :

ـــ بل هذا ما حدث .. لقد فقدت الصورة .. فقدت حلّ اللُّغز .

* * *

قال العقيد (خيرى) فى صرامة ، وهو يجلس إلى جوار (عصام) ، فى سيارة هذا الأخير ، الذى ينطلق نحو منزله :

ـــ أتعشَّم أن نجد الصورة فى منزلك يا (عصام) ، وإلا فقدنا الخيط الوحيد ، الذى يمكنه أن يقودنا إلى حلّ هذا اللُّغز .

أجابه (عصام) فى توتُّر :

ـــ سنجدها .. سنجدها بإذن الله يا سيادة العقيد .

رَانَ الصمت لحظة ، ثم سأله العقيد (خيرى) :

ـــ قُلْ يا (عصام) .. أيرتبط اختفاء الصورة ، بتلك الكدمة أسفل ذقنك .

مطَّ (عصام) شفتيه ، وهو يتمتم :

ـــ إلى حدٍّ ما .

سأله العقيد (خيرى) فى حزم :

ـــ وإلى أى مدى يبلغ هذا الحدّ ؟

أجابه (عصام) فى توتُّر :

ـــ لست أدرى .. إننى أستنتج ذلك فحسب .

التفت إليه العقيد (خيرى) ، وسأله فى اهتمام :

ـــ هل تعرَّضت لهجوم يا (عصام) ؟

لم يكن (عصام) يرغب فى إخباره ، إلا أنه وجد نفسه يجيب فى وضوح :

ـــ نعم .

هتف به العقيد (خيرى) فى دهشة :

ـــ متى ؟!

أجابه (عصام) :

ـ منذ ساعة مضت ونصف .. أى قبل قُدومى إليك مباشرة .

هتف العقيد (خيرى) فى غضب :

ـ ولماذا أخفيت عنّى ذلك ؟

أجابه (عصام) :

ـ لم أتصوَّر أنه يستحق أن أذكره .

صاح العقيد (خيرى) فى غضب :

ـ سأعتقلك يومًا بتهمة إخفاء الحقائق عن الشرطة يا (عصام) .

ابتسم (عصام) ابتسامة شاحبة ، وقال وهو يوقف سيارته أمام منزله :

ـ لن أكرهك حينذاك .

هبط الاثنان من السيارة ، وصعدا إلى حيث منزل (عصام) ، دون أن يتبادلا كلمة واحدة ، حتى دسَّ (عصام) مفتاحه فى ثقب باب منزله ، فغمغم العقيد (خيرى) :

ـ أتعشَّم أن نجد الصورة هنا .

غمغم (عصام) :

ـ كلنا هذا الرجل .

ثم دفع باب منزله ، وأضاء الضوء ، و .....

وشهق فى ذُهُول ..

لقد كان أمامه انقلاب آخر ..

انقلاب قلب أثاث شقته كلها رأسًا على عَقِب ..

* * *

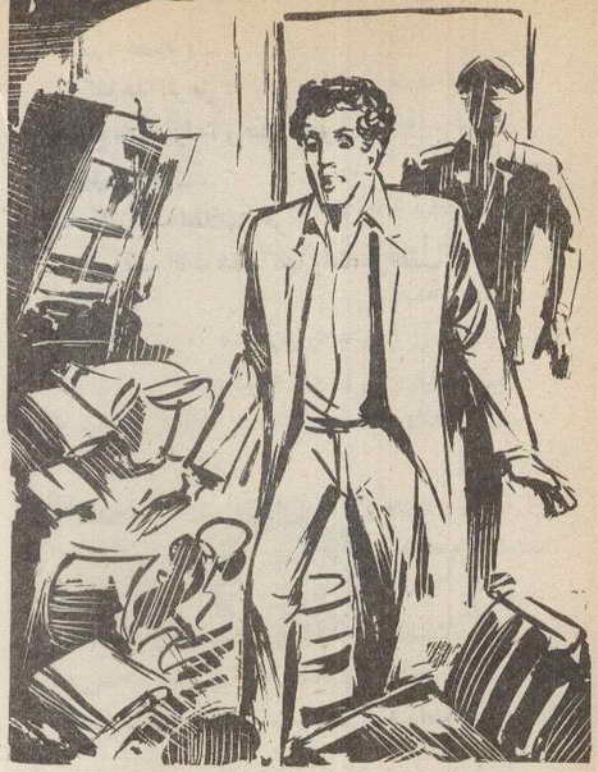

ثم دفع باب منزله ، وأضاء الضوء ، و.....
وشهق فى ذُهُول .. ــ لقد كان أمامه انقلاب آخر ..

٥ ــ الخطوة الأولى ..

بدا كالمصعوق ، وهو يحدّق فيما أصاب أثاث شقته فى ذُهُول ، وخُيِّل إليه أن ذلك لم يدهش العقيد (خيرى) مطلقًا ، وهو يغمغم فى أسف :

ــ كنت أتوقَّع هذا .

التفت إليه (عصام) فى دهشة ، وهتف فى استنكار ، وهو يشير إلى شقته :

ــ هذا ؟!

أومأ العقيد (خيرى) برأسه إيجابًا ، وجذب مقعدًا ، وأعاده إلى وضعه الطبيعى ، وجلس فوقه ، وهو يقول :

ــ بالتأكيد .. من الواضح أنهم قد استجوبوا الدكتور (على) ، قبل أن يطلقوا عليه النار ، وأنهم قد علموا منه أنك قد التقطت صورة للورقة ، وما عليها من كلمات وأرقام ، بدليل أن أحدهم قد هاجمك هنا .

هتف (عصام) :

ـ وهذا يَعْنِى أن تلك الورقة تحوى سرًّا شديد الخطورة ، وإلا ما غامروا بالعودة إلى هنا ، والبحث عنها على هذا النحو .

عقد العقيد (خيرى) حاجبيه ، وهو يغمغم :

ـ المهم هو هل وجدوها ؟

ألْجَمَ هذا السؤال (عصام) لحظات ، قبل أن يلقى جسده فوق مقعد نصف مقلوب ، وهو يغمغم :

ـ لا أحد يدرى .

ثم هبَّ فجأة واقفًا ، وهتف :

ـ الفيلم !!

سأله العقيد (خيرى) فى توتُّر :

ـ أى فيلم ؟

أجابه فى هلع ، وهو يندفع نحو حجرة إظهار الصور الفوتوجرافية ، فى نهاية المنزل :

ـ الصور السلبية .. لو أنهم عثروا عليها ..

لم يتمّ عبارته ، إذ احتبس نصفها فى حلقه ، وهو يحدّق فى الحجرة المقلوبة رأسًا على عقِب ، وفى كُومة الأفلام السلبية فى منتصفها ، وخُيِّل إليه لحظة أنه قد فقد القدرة على النطق إلى الأبد ، قبل أن يهتف فى مرارة :

ـ الأوغاد !!.. لقد أفسدوا حصيلة عمرى .

سأله العقيد (خيرى) فى توتُّر :

ـ وهل حصلوا على الفيلم ؟

لوَّح (عصام) بذراعه ، وهو يهتف فى سُخط :

ـ بالتأكيد .

زفر العقيد (خيرى) فى ضيق ، وهتف فى حدَّة :

ـ اللَّعنة !!.. إننا لم نعرف حتى من هم ، ولا ماذا يريدون .

التفت إليه (عصام) ، وبقى لحظة يتطلَّع إليه فى صمت ، قبل أن يقول فى صوت حازم عميق ، بدا وكأنه يحمل كل مرارته وغضبه :

ـ أنا أعرف .

التفت إليه العقيد (خيرى) بحركة حادة ، وحدَّق فى وجهه بدهشة ، فاستطرد فى صلابة :

ـ أنا أعرف ماذا يريدون ..

* * *

تصاعدت موسيقى (الجاز) الحديثة ، فى ملهى ذلك الفندق الفاخر ، من فنادق الدرجة الأولى ، واختلطت بهتاف

بعض الروّاد ، وصخب البعض الآخر ، وَوَقْع أقدام الراقصين والراقصات ..

ووسط كل هذا ظهر رجل واضح الأناقة ، على مدخل الملهى ، مرتديًا حُلّة بيضاء ، ورباط عنق نبيتى اللون ، وقد صفّف شعره الكستنائى فى أناقة ، زادت من وسامة وجهه الحليق ، وملامحه الأجنبية الواضحة ..

وفى هدوء ، دارت عينا الرجل فى المكان ، حتى توقفتا عند رجل فى مثل حجمه تقريبًا ، يجلس وحده أمام مائدة متوسطة الحجم ، ويرتدى حُلّة سوداء ، ورباط عنق من اللون نفسه ..

واقترب الأبيض من الأسود ، ودسّ سيجارته فى فمه ، وهو يغمغم :

ـ أأجد معك عودًا من الثقاب ؟

ألقى عليه صاحب الحُلّة السوداء نظرة عابرة ، ثم أشاح بوجهه ، وهو يقول فى برود :

ـ من النوع الشديد التفجير فحسب .

ابتسم ذو الحُلّة البيضاء ، وقال :

ـ عجبًا !.. كنت أبحث عن هذا النوع بالذات .

ثم جذب أحد المقعدين ، المحيطين بالمائدة ، وجلس إلى

جوار ذى الحُلّة السوداء ، الذى قال فى هدوء ، ودون أن يدير عينيه بعيدًا عن الفرقة الموسيقية :

ـ ماذا لديك ؟

أجابه ذو الحلّة البيضاء :

ـ نسخة سلبية واضحة .

غمغم صاحب الحُلّة السوداء :

ـ ألا توجد نسخ إيجابية ؟

هزّ الآخر رأسه نفيًا ، وقال :

ـ لم نتأكّد بعد .

رَانَ عليهما الصمت لحظات ، بدا صاحب الحُلة السوداء خلالها ، وكأنما انهمك فى تفكير عميق ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ هناك وسيلة واحدة لتلافى الخطر .

مال ذو الحُلّة البيضاء نحوه ، وهو يقول :

ـ كيف ؟

التفت إليه فى استهجان ، وردّد فى استنكار :

ـ كيف ؟!.. كنت أظن أن مثلنا لا يلقى مثل هذا السؤال .

ثم أشعل سيجارته فى هدوء ، ونفث دُخانها ، قبل أن يردف :

ــ سنقتل الصحفى بالطبع ..

* * *

انعقد حاجبا العقيد (خيرى) فى شدة ، وهو يستمع إلى (عصام) ، ثم هتف فى انفعال :

ــ مهلًا يا (عصام) .. هلَّا أعدت ذلك مرَّة أخرى ؟

تنهَّد (عصام) ، وقال :

ــ بالتأكيد .. لقد بذلت أقصى جهدى لمعرفة سرّ أو مغزى تلك الصفوف الثلاثة من الأرقام ، دون جدوى ، على الرغم من استعانتى بكل العلاقات الرياضية ، التى أذكرها فى حياتى ، حتى انتابنى اليأس ، فقرَّرت أن أترك الأرقام مؤقتًا ، وأبحث عن معنى العبارة الفرنسية ، والحروف المصاحبة لها ، فى أعلى الورقة ، وهنا جاءت المفاجأة .

صمت لحظة ، وكأنما يسعى لترك تأثير نفسى محدود ، قبل أن يكمل :

ــ لقد كانت العبارة تعنى (الكنز المفقود) .

ارتفع حاجبا العقيد (خيرى) فى دهشة ، على الرغم من

أنها ليست أوَّل مرَّة يسمع فيها القصة من (عصام) ، وردَّد فى لُحفُوت :

ــ الكنز المفقود ؟!..

وتابع (عصام) فى انفعال :

ــ العبارة كلها تقول (الكنز المفقود ــ ٧ ــ د . م . ن) .. لست أفهم بعد معنى الرقم ، والأحرف الثلاثة التالية للعبارة ، ولكن العبارة نفسها كانت تكفى ؛ لأفهم المغزى وراء كل ذلك .

واكتسى صوته بالحزم ، وهو يضيف :

ــ إنها عملية بحث عن كنز مفقود فى القلعة .

مرَّة أخرى ارتفع حاجبا العقيد (خيرى) فى دهشة ، وكأنما لا يصدّق ما يسمع ، قبل أن يعودا إلى الانعقاد فى شدة ، وهو يقول :

ــ إذن فتلك الأرقام هى شفرة الوصول إلى الكنز .

أومأ (عصام) برأسه ، وهو يقول فى ثقة :

ــ بالتأكيد .

نهض العقيد (خيرى) من مقعده ، وعقد كفَّيه خلف ظهره ، وهو يدور حول الأثاث المبعثر المقلوب لحظات ، ثم توقَّف بغتة ، والتفت إلى (عصام) ، هاتفًا فى سُخط :

ـ لو أنك لم تضع الصورة ، ما كنّا نقاتل الآن لمعرفة الحقيقة .

تنهّد (عصام) ، وهو يقول :

ـ نعم .. للأسف .. لولا أن .....

بتر عبارته بغتة ، واتسعت عيناه ، وهو يهتف :

ـ يا إلهى !!.. القتال !

هتف العقيد (خيرى) فى دهشة ، عندما رآه يندفع فجأة خارج المنزل :

ـ إلى أين ؟.. ماذا أصابك ؟

اندفع خلفه فى دهشة ، وتضاعفت دهشته ، عندما رآه يفحص درجات السُّلَّم فى لهفة ، على الضوء الخافت ، فعاد يسأله :

ـ (عصام) !!.. ماذا أصابك ؟

نهض (عصام) فجأة ، وهو يهتف فى سعادة :

ـ وجدتها !

تعلّقت عينا العقيد (خيرى) بالصورة الفوتوجرافية ، التى يمسك بها (عصام) فى سعادة ، وهتف فى انفعال :

ـ الصورة !!.. هل عثرت عليها ؟

أومأ (عصام) برأسه إيجابًا ، وهو يندفع نحوه ، صائحًا :

ـ نعم .. عندما نطقت أنت بكلمة قتال ، تذكّرت أنا ذلك القتال ، الذى دار بينى وبين المعتدى المجهول ، فوق درجات السُّلَّم ، وفكّرت فى أنه من المحتمل أن تكون الصورة قد سقطت من جيبى فى أثناء ذلك ، وقد كان .

اختطف العقيد (خيرى) الصورة فى لهفة ، وهو يهتف :

ـ رائع يا (عصام) .. رائع .. هذا يغير كل شىء .

صمت (عصام) لحظة ، وهو يتطلّع إليه ، منهمكًا فى مطالعة الأرقام ، ثم قال فى هدوء :

ـ هل تريد رأيى بكل صراحة يا سيادة العقيد ؟

رفع العقيد (خيرى) عينيه إليه ، هاتفًا :

ـ بالتأكيد .

أجابه (عصام) فى حزم :

ـ هذا اللُّغز يحتاج إلى عقل يفُوق عقلينا .. ودعنا نعترف بلا مكابرة .. إنه يحتاج إلى فريق (ع × ٢) ..

* * *

٦ ــ محاولة إليكترونية ..

غمرت أشعة الشمس المدينة ، فى السادسة صباحًا ، وانعكست على طلاء سيارة (عصام) اللامع ، وهو يدير محرّكها ، قائلًا للعقيد (خيرى) ، الذى يجلس إلى جواره ، ويفرك عينيه فى إرهاق :

ــ أما زلت تصرّ على عدم الاستعانة بـ (عماد) و (عُلا) يا سيادة العقيد ؟

أسبل العقيد (خيرى) جفنيه ، وترك رأسه يسترخى على وسادة المقعد الخلفية ، وهو يقول فى حزم :

ــ لن أفعل ، قبل أن يصبح ذلك حتميًا .

انطلق (عصام) بالسيارة ، وهو يغمغم :

ــ إلى أين إذن ؟

أجابه العقيد (خيرى) فى إرهاق :

ــ إلى مكتبى بمديرية الأمن .

سأله (عصام) فى دهشة :

ــ لماذا ؟

صمت العقيد (خيرى) لحظة ، ثم أجاب :

ــ سنجرى محاولة أخيرة .

سأله (عصام) فى اهتمام بالغ :

ــ أيّة محاولة ؟

ابتسم العقيد (خيرى) فى تهالك ، وهو يغمغم :

ــ محاولة إليكترونية .. سنحاول اللّحاق بتكنولوجيا العصر يا صديقى ..

* * *

تثاءب النقيب مهندس (حسن عوض) ، وهو يجلس أمام جهاز الكمبيوتر المتطوّر ، فى مديرية أمن (القاهرة) ، وامتقع وجهه ، حينما لاحظ أنه قد تثاءب أمام العقيد (خيرى) ، فغمغم فى ارتباك :

ــ معذرة يا سيِّدى .. إننى .....

ربّت العقيد (خيرى) على كتفيه ، قائلًا :

ــ لا عليك يا بنى .. إننى أقدّر موقفك ، فلقد انتزعتك من فراشك فى السادسة والنصف صباحًا ، والله (سبحانه وتعالى) يعلم أننى كنت أتمنّى أن أشاركك تثاؤبك ، لولا أن عضلات فكّى تشعر بإرهاق لا مثيل له .

غمغم النقيب (حسن) ، وقد هدَّأت كلمات العقيد (خيرى) من رُوعه :

ـ شكرًا يا سيِّدى .. والآن كيف يمكننى أن أخدمك ؟

ناوله العقيد (خيرى) الصورة ، وهو يقول :

ـ أريد منك أن تسأل الكمبيوتر، أن يجد أيَّة علاقة بين تلك الصفوف الثلاثة من الأرقام .

عقد النقيب (حسن) حاجبيه ، وهو يقرأ الأرقام فى اهتمام ، ثم غمغم فى حماس :

ـ فليكن .

وراح يضرب أزرار الكمبيوتر فى سرعة ومهارة ، حتى ارتسمت على شاشته صفوف الأرقام الثلاثة ، فأضاف إليه (حسن) أمرًا ، واعتدل ، قائلًا :

ـ سيحاول الكمبيوتر أن يجد لنا أيَّة علاقة بين الأرقام وبعضها البعض ، وسيبدأ بالبحث عن العلاقة بين أرقام كل خطّ على حدة ، ثم يدمجها معًا ، وهكذا .. إنه سيجرى ما يقرب من مليونى احتمال ، كانت تحتاج قبل اختراع الكمبيوتر إلى أسبوع كامل ، أما الآن فهى تحتاج إلى دقيقتين فحسب .

غمغم (عصام) :

ـ إنها التكنولوجيا .

نطق العبارة على نحو أقرب إلى السُّخرية ، حتى أن النقيب (حسن) قد التفت إليه فى دهشة ، قبل أن يعقد حاجبيه ، مغمغمًا :

ـ نعم .. إنها التكنولوجيا .

رَانَ الصمت على الثلاثة ، وهم يتابعون شاشة الكمبيوتر ، التى راحت الأرقام تصطف عليها فى سرعة ، وتتداخل ، وتتشابك ، فى عشرات التشكيلات المختلفة ، بل مئات وألوف ، حتى انتهى الأمر أخيرًا إلى عبارة واحدة ، ملأت شاشة الكمبيوتر تقريبًا ، أو هكذا خُيِّل للجميع ، وهم يقرءون :

ـ لا توجد أيَّة علاقات .

حدَّق (عصام) فى الشاشة بدهشة ، على حين عقد العقيد (خيرى) حاجبيه فى شدة ، وهو يكرِّر فى حَنَق :

ـ لا توجد أيَّة علاقات ؟!.. هذا مستحيل !

هَزَّ النقيب (حسن) كتفيه ، وهو يقول :

ـ معذرة يا سيِّدى ، ولكن ما دام الكمبيوتر قد قال ذلك ، فهو كذلك .

وهنا وضع (عصام) يده على كتف العقيد (خيرى) ، وهو يقول فى حزم :

ــ سيِّدى .. لا مناص من الاعتراف بالأمر الواقع ، والرضوخ إلى الحقيقة .

وصمت لحظة ، قبل أن يُردف بمزيد من الحزم :

ــ لابدَّ من الاستعانة بفريق (ع × ٢) ..

* * *

لم ينبس العقيد (خيرى) بحرف واحد ، و (عصام) يقود سيارته ، ليوصله إلى منزله ، حتى غمغم (عصام) فى تردُّد :

ــ أيضايقك أن تضطر للاستعانة بولديك يا سيادة العقيد ؟

هزَّ العقيد (خيرى) رأسه نفيًا ، وقال :

ــ كلَّا .. لقد سبق لى أن استعنت بهما فى قضايا كثيرة ، ولكننى أتساءل عما يمكن لعقليهما أن يجداه ، بعد أن عجز العقل الإليكترونى عن إيجاد علاقة واحدة .

ابتسم (عصام) ، وهو يغمغم :

ــ من يدرى ؟.. قد يفوق عقلاهما العقل الإليكترونى .

ابتسم العقيد (خيرى) ابتسامة شاحبة ، وهو يقول :

ــ هل يبدو ذلك منطقيًا ؟

أجابه (عصام) فى ثقة :

ــ بالتأكيد .

وعندما لاحظ تلك الابتسامة الساخرة ، على شفتى العقيد (خيرى) ، أسرع يضيف :

ــ ذات مرَّة ، فى الاتحاد السوفيتى ، أراد أحد أساتذة المنطق دراسة منطقية ردود العقول الإليكترونية ، فألقى على إحداها السؤال التالى : أيهما تفضِّل ؟.. ساعة متوقِّفة تمامًا ، أم ساعة تؤخر ثانية واحدة كل يوم ؟.. ولقد أدهشه أن أجاب الكمبيوتر بأنه يختار الساعة المتوقِّفة ، بعكس أى منطق بشرى ؛ لأن تلك الساعة المتوقِّفة ستشير إلى الوقت الصحيح ــ من وجهة نظر الكمبيوتر ــ مرَّتين يوميًّا ، على حين لن تشير الساعة التى تؤخر ثانية واحدة إلى الوقت الصحيح ، قبل مرور بضع عشرات من الشهور(*) ، وفى هذا الجواب تتجلَّى منطقية العقول الإليكترونية ، التى لا ترى سوى الحقائق المجرَّدة ، على عكس العقول البشرية ، التى يمكنها دومًا قراءة ما بين السطور .

(*) واقعة حقيقية ، مسجلة فى كتب الفيزياء السوفيتية .

ابتسم العقيد (خيرى) مرة أخرى ، وأسبل جفنيه ، مغمغما :

ـ منطق رائع يا (عصام) .

ثم استطرد فى تهالك :

ـ ولكننى أتمنّى أن نصل سريعًا إلى منزلى ، قبل أن تضطر لحملى إلى فراشى ، إذا ما وصلنا متأخرين بعض الشىء .

ضحك (عصام) ، وهو يقول :

ـ علينا إذن أن نبحث عمن يحملنى لأحملك ، و .....

بتر عبارته بغتة ، واتسعت عيناه فى ذُعر ، فإلى جواره تمامًا ، وعلى قيد خطوة واحدة يسار سيارته ، كان هناك رجل كستنائى الشعر ، يرتدى حُلّة بيضاء ، يجلس على المقعد المجاور لقائد سيارة فاخرة ، وكان يحمل فى يده مسدّسًا ، ينتهى بكاتم للصوت ، يصوّبه نحو رأس (عصام) ..

ورآه (عصام) يضغط الزّناد ..

* * *

كان هناك رجل كستنائى الشعر ، يرتدى حُلّة بيضاء ، يجلس على المقعد المجاور لقائد سيارة فاخرة ، وكان يحمل فى يده مسدّسًا ..

٧ ــ فى قلب (القاهرة) ..

حدث كل شىء فى سرعة مُذهلة ..

سرعة جعلت (عصام) نفسه يتساءل ، كيف فعل ذلك !!..

إنه لم يكد يرى فُوَّهة المسدَّس ، حتى انحنى برأسه إلى أسفل ، ودفع العقيد (خيرى) كذلك ، وهو يهتف فى جَزَع :

ــ الحَن يا سيِّدى ..

وانطلقت الرصاصة المكتومة ..

انطلقت لتخترق زجاج النافذة المجاورة لـ (عصام) ، وتمرُق فوق رأسه ، ورأس العقيد (خيرى) ، ثم تحطِّم زجاج النافذة المقابلة ، وتواصل طريقها ..

وهنا نهض (عصام) ..

وكان نهوضه يحمل مفاجأة مُذهلة للجميع ، بدءًا من ذى الحُلَّة البيضاء ، ومرورًا بسائقه ، وقادة السيارات المحيطة ، والعقيد (خيرى) ، وانتهاءً بـ (عصام) نفسه ..

نعم .. حتى (عصام) ظلَّ ليومين متتاليين يتساءل ، كيف فعل ذلك ؟!..

لقد تذكَّر فجأة ذلك المسدَّس ، الذى يحتفظ به فى حزامه ، والذى التقطه بعد صراعه مع مهاجمه المجهول ، على دَرَج منزله ، فانتزعه من غِمده ، ونهض ليطلق منه رصاصة مباشرة صائبة سريعة ، أطاحت بمسدَّس ذى الحُلَّة البيضاء ، الذى بُوغت بمبادرة (عصام) ، فاتسعت عيناه ذُعْرًا وذُهُولًا لحظة ، ثم هتف فى حدَّة ، وبلغة أجنبية غريبة :

ــ انطلق .. انطلق بأقصى سرعة .

ضغط سائق سيارته دوَّاسة الوقود ، بكل ما يملك من قوة ، واندفع بالسيارة وسط السيارات العديدة ، فانطلق (عصام) خلفه ، وهو يهتف :

ــ أيها الأوغاد !..

اعتدل العقيد (خيرى) فى دهشة ، وحدَّق فى وجه (عصام) ، وهو يهتف :

ــ كيف فعلت ذلك ؟

هتف (عصام) :

ــ لست أدرى .

وعلى بعد أمتار منه ، شاهد سيارة ذى الحُلَّة البيضاء تتوقَّف مرغمة ، بعد أن واجهها ازدحام الطريق الشديد ، فى تلك الساعة من الصباح ، وشاهد سائقها ، وراكبها الوحيد يقفزان خارجها ، ويعدُوَان بأقصى سرعة ، وسمع العقيد (خيرى) يهتف به :

ــ دَعْهُما لى .. لقد قمت بدورك .

ثم اندفع خلفهما خارج السيارة ..

ودارت مطاردة رهيبة ، فى قلب (القاهرة) ..

مطاردة على الأقدام ، قفز فيها المطاردون فوق أسقف السيارات ، وعَبَروا عشرات الأسوار ، واصدموا بالمارة فى عنف ، قبل أن يهتف سائق السيارة فى توتُّر بالغ :

ــ لا فائدة .. ذلك الرجل يطاردنا فى إصرار رهيب .

ثم انتزع مسدَّسه من جيب سترته الداخلى ، واستدار يواجه العقيد (خيرى) ، فهتف به زميله فى هَلَع :

ــ ماذا ستفعل أيها التعس ؟

صاح السائق فى حدَّة :

ــ سأقتله .

وانطلقت رصاصة مُحْكَمَة ..

رصاصة أصابت هدفها فى دقَّة ..

ولكنها لم تكن رصاصة السائق ..

كانت رصاصة العقيد (خيرى) ..

وصرخ المارَّة فى رُعب ، وانطلقوا يركضون فى كل الاتجاهات ، عندما شاهدوا ثقبًا أحمر صغيرًا ، يتكوَّن فى سرعة ، بين عينى السائق ، اللتين جحظتا لحظة ، ثم تجمَّدتا ، وهو يهوى جثة هامدة ..

وارتفع صوت العقيد (خيرى) ، يقول فى صرامة :

ــ قف يا رجل ، وإلا لوَّثت خُلَّتك البيضاء بالدماء .

تردَّد ذُو الحُلَّة البيضاء لحظة ، ثم أيقن أنه لم يعُد هناك من مفرّ ، فرفع ذراعيه مستسلمًا ، وهو يقول فى حَنَق ، وبعربية ذات لَكْنَة أجنبية :

ــ لقد ربحت .. إننى أستسلم .

* * *

جلس العقيد (خيرى) خلف مكتبه ، يفرك عينيه المنهكتين فى إرهاق واضح ، قبل أن يتطلَّع إلى ذى الحُلَّة البيضاء ، الذى جلس عاقدًا حاجبيه فى حَنَق ، والأغلال تحيط بمعصميه ، ثم يلتفت إلى (عصام) ، ويتبادلان نظرة صامتة ، يقول العقيد (خيرى) بعدها :

ـ أنت إنجليزى يا مستر (فرانك) .. أليس كذلك ؟

غمغم (فرانك) :

ـ بلى .

اعتدل العقيد (خيرى) ، وقال فى صرامة :

ـ ما الغرض من كل هذا يا مستر (فرانك) ؟

غمغم (فرانك) فى حدَّة :

ـ لا ترهق نفسك أيها المصرى .. لن تحصل منّى على حرف واحد .

كان يكرِّر العبارة نفسها منذ نصف ساعة ، حتى أن (عصام) قد شعر بالتوتُّر ، فقال فى حدَّة :

ـ اسمع يا رجل .. لا تظن أنك تخفِى سرًّا رهيبًا .. إننا نعلم بالضبط ما الذى تسعون خلفه .

رفع إليه (فرانك) عينيه فى حدَّة ودهشة ، فأردف (عصام) فى صرامة :

ـ إنكم تسعون خلف كنز فى القلعة .. أليس كذلك ؟

برقت عينا (فرانك) لحظة ، ثم أشاح بوجهه ، وغمغم :

ـ يا للذكاء !

جذبه (عصام) من ياقة سترته ؛ ليجبره على الالتفات إليه ، وهو يقول فى حدَّة :

ـ اسمع يا رجل .. إنكم جماعة ما ، عثرتم بوسيلة معقَّدة ، أو بالمصادفة البحتة ، على ما يؤكِّد وجود كنز مخفِىّ فى جدران قلعة (صلاح الدين) ، وجئتم إلى هنا سعيًا وراء الكنز ، وأرسلتم أحد رجالكم ، وهو الفرنسى (جاك مارتين) ، للتأكُّد من وجود الكنز ، وهو يحمل خريطة شفرية له ، ولكنه لَقِى مصرعه قبل أن يفعل ، وجاهدتم أنتم لاستعادة الخريطة ، خشية أن يحل أحد رموزها ، فيتوصَّل إلى الكنز قبلكم .. أليس هذا هو السِّرّ فى كل ما تفعلونه .

رَانَ الصمت بعض الوقت ، و (فرانك) يشيح بوجهه بعيدًا ، ثم لم يلبث أن أدار وجهه إلى (عصام) ، وتطلَّع إلى عينيه برهة ، ثم خفض وجهه ، مغمغمًا فى لهجة تُوحِى بالأسف :

ـ يبدو أنكم تعلمون كل شىء .

ابتسم (عصام) فى ارتياح ، وتبادل نظرة سريعة مع العقيد (خيرى) ، قبل أن يقول فى زهوٍ حازم :

ـ نعم .. نحن نعلم كل شىء ، ومن الأفضل لك أن تعترف .

تنهَّد الرجل فى عمق ، وقال :

ـ حسنًا .. إننى أعترف .

مال العقيد (خيرى) إلى الأمام فى دهشة ، وقد أثار ذلك الاعتراف السريع حَيْرَته ، خاصة أن الرجل يرفض الحديث منذ نصف ساعة ، فالتقط صورة الورقة من فوق مكتبه ، ووضعها أمام وجه (فرانك) ، قائلًا :

ــ ما الذى تَعْنِيه تلك الرموز إذن ؟

تطلَّع (فرانك) إلى الصورة باهتمام شديد ، قبل أن يعود فيخفض عينيه أرضًا ، مغمغمًا :

ــ لست أدرى .

قال العقيد (خيرى) فى غضب وصرامة :

ــ لقد قلت إنك ستعترف .

هتف (فرانك) :

ــ أقسم إننى لا أعرف معناها .. الزعيم وحده يعرف .

سأله (عصام) فى اهتمام :

ــ وأين هذا الزعيم ؟

أجابه (فرانك) فى هدوء :

ــ فى (لندن) .

رَانَ الصمت على الحجرة لحظة ، ثم قال العقيد (خيرى) :

ــ هذا يكفى .

ثم التفت إلى (عصام) ، مستطردًا :

ــ لقد تأكدنا على الأقل من قصة (كنز القلعة) ..

* * *

توقَّف (عصام) بسيارته ، أمام منزل العقيد (خيرى) ، والتفت إلى هذا الأخير ، قائلًا :

ــ أظنك ستحصل أخيرًا على قسط من النوم يا سيادة العقيد .

غمغم العقيد (خيرى) :

ــ أتعشَّم ذلك يا (عصام) !

ابتسم (عصام) فى تعاطف ، وهو يقول :

ــ ستحصل عليه بإذن الله يا سيادة العقيد .. لقد ألقينا القبض على آخر الباحثين عن الكنز ، وأصبحنا نمتلك نحن كل الأوراق الرابحة .

غمغم العقيد (خيرى) :

ــ ولكننا لم نحل لُغز تلك الورقة الغامضة بعد .

مال (عصام) نحوه ، وقال فى اهتمام :

ــ ألن تسمح لى بطلب رأى (عماد) و (غُلا) ؟

ابتسم العقيد (خيرى) ، وهزَّ كتفيه ، قائلًا :

ــ لست أظننى سأعترض .. لقد انتهت القضية تقريبًا .

ثم فتح باب السيارة ، مستطردًا فى ثقة :

ــ إنهم لن يضيفوا جديدًا .

ولكنه كان مخطئًا ..

مخطئًا إلى أقصى حدّ ..

* * *

٨ ــ روح الفريق ..

لا أحد يمكنه أن يصف فرحة وسعادة (عمـــاد) و (غُلا) ، عندما استقبلا (عصام) فى منزلهما ..

لقد كانا قد توقَّفا عن مشاركته قضايا صفحة الحوادث ، منذ فترة ، عمل خلالها مع (عادل محمود) ، فى قضيتين مثيرتين ، دون اشتراكهما على الإطلاق(*) .

ولقد هتفت (غُلا) فى سعادة بالغة :

ــ أستاذ (عصام) .. كم تسعدنى رؤيتك .. كيف حالك ؟ وكيف حال قضاياك ؟

ابتسم (عصام) فى سعادة ، واختلس النظر إلى العقيد (خيرى) ، الذى اتجه إلى غرفته على الفور ، وقال هامسًا :

ــ فى الواقع ، إننى أحمل إليكما قضية جديدة .

تهلَّلت أساريرهما ، وهتفت (غُلا) :

ــ أحقًّا ؟! يا لسعادتى !

(*) راجع قصتى (قضية الحارس الليلى) ، و (قضية بحيرة الأسرار) .. القضيتين رقم (٣٣) ، و (٣٤) .

على حين سأله (عماد) ، فى صوت يقطر لهفة :

ــ ما هى القضية يا أستاذ (عصام) ؟

جلس (عصام) يقصّ عليهما كل شىء ، بالتفاصيل البالغة الدقة كعادته ..

كل موقف ..

كل مشهد ..

كل حدث ..

كل جملة ..

كل همسة ..

وأخيرًا ، كانت لديهما صورة واضحة للموقف كله ، كما لو كانا قد شاهدا كل شىء ، عَبْرَ عينى (عصام) ، وسمعا كل شىء عَبْرَ أُذنيه ، فسألته (عُلا) فى شَغَف :

ــ وأين تلك الورقة يا أستاذ (عصام) ؟

أخرج (عصام) صورة الورقة من جيبه ، وناولها لهما ، وهو يقول :

ــ ها هى ذى .. إن حلَّ لُغز تلك الصفوف الثلاثة المتوازية ، من الأحرف ، يرشدنا إلى موضع ذلك الكنز المختفى فى القلعة ، والذى قاتل هؤلاء الأوغاد للوصول إليه .

اقترب رأسا (عماد) و (عُلا) ، وهما يطالعان الورقة فى اهتمام ، على حين غمغم (عصام) :

ــ أظن أن مفتاح الحل يكمن فى تلك الأحرف ، التى تلى كلمة (الكنز المفقود) ، وأعْنِى بها (٧ ــ د . م . ن) .

لم يعلّق (عماد) و (عُلا) بعض الوقت ، وبديا شديدى الاهتمام بما تحويه الورقة من رموز ، ثم قال (عماد) :

ــ أظن أن الأستاذ (عصام) على حقّ يا (عُلا) ، وأن حلَّ اللُّغز كله يكمن فى تلك الأحرف ؟

غمغمت (عُلا) :

ــ إننى أشاركك هذا الرأى يا (عماد) .

سألها فى اهتمام ، وكأنهما قد نسيا وجود (عصام) تمامًا :

ــ ولكن ما الذى يمكن أن تُعْنِيه هذه ؟

غمغمت (عُلا) :

ــ الرقم (سبعة) ، قد يَعْنى سابع حجرة مثلًا .

قال (عماد) :

ــ أو سابع دَرَج .

سألهما (عصام) فى ضَجَر ، وقد ضايقه تجاهلهما له :

ــ ألديكما معلومات كافية عن قلعة (صلاح الدين) ؟

اقترب رأسا (عماد) و (غلا) ، وهما يطالعان الورقة فى اهتمام ..

قال (عماد) فى حماس :

ــ يمكننا أن نحصل عليها .

ثم قفز من مقعده ، واتجه نحو مكتبه ، وتناول منها مجلّدا ضخمًا ، راح يقلّب صفحاته ، حتى توقّف عند صفحة محدودة ، وقال :

ــ اسمعوا ما كتبته عنها (الموسوعة الثقافية) .. إنها تقول : « قلعة الجبل : شيّدها (صلاح الدين الأيوبى) (١١٧٦ ــ ١١٨٣) ، فوق المقطم ، وتشرف على (القاهرة) ، لتكون مقرًّا لحكومته ، ومعقلًا لجيشه ، وحصنًا لحمايته ، وظلّت مقرّ الحكم حتى أيام (محمد على) ، وشيّد فيها جامعه الكبير ، وعدة قصور ومدارس ، ومصانع حربية ، يشغل المتحف الحربى حاليًا جانبًا منها ، ويضمُّ أدوات القتال المصرية عَبْرَ التاريخ ، ولوحات ونماذج عسكرية » .

استمع إليه (عصام) فى اهتمام ، ثم قال فى ضيق :

ــ أهذا كل ما تذكره عنها (الموسوعة الثقافية) ؟

أجابه (عماد) :

ــ نعم .. هذا كل شىء .

مطّ (عصام) شفتيه ، وقال :

ـ هذا لا يكفى .. إنها حتى لم تذكر أمر تجديد القلعة ، وإعادة طلائها ، بواسطة بعض الشباب .

ابتسم (عماد) ، وهو يقول :

ـ لأن هذه هى الطبعة الأولى من الموسوعة ، ولم يكن ذلك قد حدث حينما نُشِرَتْ .

هزَّ (عصام) كتفيه ، وقال :

ـ هذا لا يمنع من كَوْنِ المعلومات ناقصة .

قالت (عُلا) فى حماس :

ـ لا بأس .. سنجد بالتأكيد عشرات الكتب عن القلعة ، و .....

بترت عبارتها بغتة ، وانعقد حاجباها الصغيران فى تفكير عميق ، ثم لم تلبث أن تبادلت مع شقيقها واحدة من نظراتهما الغامضة ، تألقت خلالها عيونهما ، فهتف (عصام) فى توتُّر :

ـ هل توصَّلتما إلى شىء ؟.. هل استنتجتما شيئًا ؟

ابتسم (عماد) ابتسامة غامضة ، وهو يقول :

ـ ليس بعد يا أستاذ (عصام) .

ثم أضافت (عُلا) فى هدوء :

ـ أظننا سنحتاج إلى استشارة عقل أكثر نضجًا ، وأكثر قدرةً على الاستنتاج .

عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يقول :

ـ من تقصدان ؟

تبادلا نظرة غامضة أخرى ، ثم أجابا فى صوت واحد :

ـ العقيد (عادل محمود) ..

* * *

ارتسمت ابتسامة واسعة ، على شفتى العقيد (عادل محمود) ، وهو ينهض من خلف مكتبه ، بوسامته المعهودة ، وشاربه الكثّ ، وفَوْدَيْه الأشيبين ، وخُصلته البيضاء ، التى تمتد من منتصف جبهته ، إلى قمة رأسه ، وأناقته البالغة كعادته ، وهو يستقبل (عصام) و (عماد) و (عُلا) فى مكتبه ، بإدارة مباحث أمن الدولة ، قائلًا :

ـ مرحبًا بكم فى مكتبى .. كم يسعدنى أن أستقبل فريق (ع × ٢) كله دفعة واحدة .

غمغم (عصام) :

ـ أظن أنه ينبغى أن أعتذر ، فقد كان من الواجب أن أحضر لتهنئتك ، فور عودتك إلى سلك الشرطة ، بعد قضيتنا السابقة(*) .

(*) راجع قصة (قضية بحيرة الأسرار) .. القضية رقم (٣٤) .

ابتسم (عادل) ، وهو يقول فى بساطة :

ـ لا عليك يا صديقى .. إننى أكره التعقيدات الرُّوتينية .

قال (عماد) فى احترام :

ـ هذا هو السبب نفسه ، الذى دفعنا إلى القُدوم إليك مباشرةً يا سيادة العقيد .

اعتدل (عادل) ، وهو يسأله فى اهتمام :

ـ ماذا لديك يا صغيرى ؟

قصَّ عليه (عماد) و (غُلا) الأمر فى اختصار ، واستمع إليهما هو فى اهتمام بالغ ، ثم سألهما :

ـ وأين الورقة ؟

ناوله (عصام) إياها ، وهو يقول فى ضيق :

ـ ها هى ذى .

تناولها (عادل) فى اهتمام ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يتطلَّع إليها ، قبل أن يغمغم :

ـ يا إلهى !!.. الأمر بالغ الخطورة حقًّا .

قالت (غُلا) :

ـ بالتأكيد يا سيِّدى .. لقد استنتجنا ما تحويه تلك الورقة ؛ لذا فقد كان من الضرورى أن نأتى إليك .

ابتسم (عادل) ، وهو يقول :

ـ كان من الطبيعى أن تستنتجا فحواها ، كما فعلت أنا ، فأنا أفخر بأننا نمتلك عبقرية واحدة ، فى هذا المجال .

هتف (عصام) فى حَنَق :

ـ هل لاحظ أحدكم أننى الوحيد الذى لا يفقه شيئًا هنا ، على الرغم من أننى صاحب القضية الحقيقى ؟

ابتسم (عادل) ، وتبادل الابتسامة مع (عماد) و (غُلا) ، ثم التفت إلى (عصام) ، قائلًا :

ـ سيخبرك الصغيران بالأمر كله يا عزيزى (عصام) ، فأنت حقًّا صاحب القضية الحقيقى ، وأنت الذى سينهيها بدور خاص .

واتسعت ابتسامته وهو يستطرد :

ـ بدور البطولة ..

* * *

٩ ــ خبطة صحفية ..

جلس ذلك الرجل ، الذى كان يرتدى بالأمس حُلّة سوداء ، يحتسى قدحًا من القهوة ، فى شُرفة حجرته المطلّة على النيل ، فى ذلك الفندق الفاخر ، من فنادق الدرجة الأولى بقلب (القاهرة) ، وكان من المستحيل الجزم بانفعالاته ، أو بما يدور فى أعماقه ، وهو يتطلّع إلى النيل بذلك الجمود ، حتى عندما دَلَف رجل آخر إلى حجرته ، وَعَبَرَهَا إلى الشُرفة ، ووقف إلى جواره يتنحنح ، حتى قال له الرجل :

ــ قُل ما لديك يا (ويليام) ..إننى أكره من يتردَّدون طويلًا .

تنحنح (ويليام) مرَّة أخرى ، قبل أن يقول :

ــ لقد تطوَّر الأمر يا مستر (بين) .

سأله (بين) فى برود ، دون أن يلتفت إليه :

ــ كيف ؟

أجابه (ويليام) فى لهجة تحمل توتُّرًا واضحًا :

ــ لقد كتب ذلك الصحفى مقالًا شديد الخطورة اليوم .

ارتشف (بين) رشفة من قدح قهوته ، قبل أن يقول فى برود :

ــ وما فحواه ؟

تنحنح (ويليام) مرَّة أخرى ، وقال :

ــ لقد ذكر قصة مصرع (چاك) بالتفصيل ، وقال إن لديه صورة لورقة غامضة ، لم يفهم أحد معناها ، ويؤكّد أنه لن يسلمها إلا لورثة القتيل .

عقد (بين) حاجبيه ، وغمغم فى شكّ :

ــ لورثته ؟!

وصمت طويلًا ، وهو يتطلّع إلى النيل ، دون أن يجرؤ (ويليام) على قطع صمته ، حتى سمعه يقول فى سُخط :

ــ ما كان ينبغى أبدًا أن نستعين بذلك المعمارى .. كان من الضرورى أن نستخدم محترفًا .

غمغم (ويليام) :

ــ أنت تعلم أن الوقت كان أقصر مما ينبغى يا مستر (بين) ، ولقد كان من الأيسر والأسرع إسناد المهمَّة إلى (چاك) .

هتف (بين) فى حَنَق :

ـــ ولقد أفسدها .

تمتم (ويليام) فى توتُّر :

ـــ وكيف كان له أن يتوقَّع انهيار الدَّرَج ؟

لوَّح (بين) بذراعه ، وهو يهتف فى سُخط :

ـــ لست أقصد ذلك ، وإنما أعْنى أنه قد خالف القواعد ، واحتفظ بالورقة .

عاد (ويليام) يتمتم فى توتُّر :

ـــ كان من العسير عليه أن يحفظ كل تلك الأرقام .

هتف (بين) فى غضب :

ـــ وما الداعى لحفظها ؟

ثم نهض من مقعده ، وأمسك حافَة سور الشُّرفة فى عصبيَّة ، وعاد الصمت يسود المكان بعض الوقت ، وهو يتطلَّع مرَّة أخرى إلى النيل ، إلى أن غمغم (ويليام) فى تردُّد :

ـــ هل نحاول قتل الصحفى مرَّة أخرى ؟

مطَّ (بين) شفتيه ، وهو يقول فى حَنَق :

ـــ لقد سئمت ذلك .

ثم لوَّح مرَّة أخرى بذراعه ، هاتفًا :

ـــ إنه يبدو كما لو كان ضد القتل .

تردَّد (ويليام) لحظة ، ثم قال :

ـــ ماذا علينا أن نفعل إذن ؟

عقد (بين) حاجبيه فى تفكير عميق ، وقال :

ـــ يبدو أنه لا بديل عن الذهاب إلى ذلك الصحفى مباشرة .

اتسعت عينا (ويليام) فى دهشة ، وهو يهتف :

ـــ إليه ؟!.. وماذا لو كان ذلك فخًّا ؟

ارتسمت على شفتى (بين) ابتسامة خبيثة ، وهو يقول :

ـــ هذا احتمال قائم .

ثم التفت إلى (ويليام) ، مستطردًا :

ـــ لقد قال هذا الصحفى أنه سيسلِّم الورقة إلى ورثة (چاك) ، فلماذا لا نرسل إليه هؤلاء الورثة ؟

بدا وكأن (ويليام) قد عجز عن فهم ذلك ، وهو يحدِّق فى وجه (بين) فى حَيْرَة ، قبل أن يغمغم :

ـــ أى ورثة ؟

أجابه (بين) مبتسمًا :

ـــ ورثة (چاك) .

ثم أطلق ضحكة ساخرة شيطانية ، قبل أن يستطرد :

ـــ سنرسل إليه (برجيت) .. وسنُبهره .

* * *

أعاد رئيس قسم الحوادث قراءة مقال (عصام) ، للمرة العاشرة ، ثم هزَّ رأسه ، مغمغمًا :

ـــ عجبًا !..

ابتسم (عصام) ، وهو يسأله فى هدوء :

ـــ ماذا هناك يا سيِّدى ؟

مال رئيس القسم نحوه ، وأشار إلى المقال ، قائلًا :

ـــ قلبى يحدِّثنى بأنك تخدعنا جميعًا بهذا المقال .

ضحك (عصام) ، وهو يقول :

ـــ لماذا ؟.. إنه مجرَّد مقال عادى .

هتف رئيس القسم :

ـــ بل قل مقال غامض ..

واعتدل وهو يرمق (عصام) بنظرة عتاب ، مستطردًا :

ـــ إننى أعمل بالصحافة منذ زمن طويل للغاية يا (عصام) .. من قبل أن تُولد أنت .. ولقد عاصرت كل مراحل الصحافة ، وكل تطوراتها ، وليس من السهل خِداعى فى هذه السن .

بدا الأسف على وجه (عصام) ، وهو يغمغم :

ـــ مُحَال أن أحاول يا سيِّدى .. إنك أستاذى ، ولكن .....

تردَّد لحظة ، ثم أضاف :

ـــ هذا جزء من مقالى القادم .

ابتسم رئيس القسم ، وهو يقول :

ـــ ألم أقُل لك ؟

ثم اعتدل مستطردًا فى ارتياح :

ـــ كنت واثقًا من ذلك .

فتح (عصام) فمه ، لينطق بشىء ما ..

بالتأكيد كان سيفعل ..

ولكنه لم يفعل ..

لقد ظلَّ فمه مفتوحًا ، وأضيف إليه اتساع مفاجئ فى العينين ، وبريق انبهار عام ، دفع رئيس القسم ، الذى سمع عشرات الشهقات فى قسمه ، إلى الالتفات إلى حيث ينظر الجميع فى انبهار ..

وشاركهم انبهارهم ..

لقد كانت تقف أمامهم ، عند مدخل القسم ، أجمل فتاة رأوها فى حياتهم كلها ..

فتاة شقراء ، فى حدود الخامسة والعشرين من عمرها ، ذات وجه بيضاوى متناسق للغاية ، يكلّله شعر ذهبىّ ناعم طويل ، ينسدل كشلّال من ذهب صاف ، حتى منتصف عمودها الفقرى ، وتطلّ عليهم من بين جانبيه ، عينان واسعتان ، لهما لون لا هو بالأخضر ولا هو بالأزرق ، بل هو مزيج منهما ، فى أجمل نسق وصورة ، وفوقهما رموش مرصوصة كإبر طويلة من الذهب ، وبينهما أنف دقيق جميل ، يعلو شفتين حمراوين فى لون دماء الحياة ..

وكان لها عنق يكفى وحده لتنال لقب ملكة جمال العالم ، وقوام يمنحها بلا منافس إمبراطورية جمال الكَوْن ..

كانت حقًا مُبهرة ..

وساد القسم سكُون وصمت رهيبان ، كما لو أن نهاية العالم قد أتت بغتة ، وعيون الجميع مسمَّرة عند تلك الفاتنة ، التى قطعت حبل الصَّمت والسُّكون ، وهى تقول فى هدوء ، وبفرنسية أنيقة :

ــ أين أجد مسيو (عصام كامل) ؟

لم يجب أحد الحاضرين فى البداية ، وكأنما ألْجَمَ الانبهار ألسنة الجميع ، حتى هبَّ (عصام) من مقعده بغتة ، وهو يهتف بالعربية :

ــ أنا (عصام) .

التفتت الفتاة إليه ، ومنحته ابتسامة أشدّ فتنة منها ، وهى تقول بلغة عربية ، ذات لُكْنة فرنسية :

ــ أنت ؟

أومأ برأسه إيجابًا فى انبهار ، فتقدَّمت إليه بخطوات بالغة الرِّقة ، ومدَّت يدها إليه ، قائلة :

ــ اسمى (برچيت) .. (برچيت مارتين) .

التقط (عصام) يدها فى رفق ، وهمس :

ــ أهلًا .

أضافت (برچيت) فى صوت حزين :

ــ أرملة (چاك مارتين) .

لوهلة ، خُيِّل لـ (عصام) أنها أوَّل مرَّة يسمع فيها هذا الاسم ، ثم لم يلبث أن انتبه بغتة ، فاستعاد رصانته فى سرعة مدهشة ، ولاحظ لأوَّل مرَّة ، أن (برچيت) ترتدى ثوبًا أسود ، فأشار إليها بالجلوس على المقعد المجاور له ، قائلًا :

ــ تعازىَّ يا سيِّدتى .. تفضَّلى .

جلست (برچيت) إلى جواره فى رقَّة ، ومسحت دمعة وهمية عن عينها ، وهى تقول :

التفتت الفتاة إليه ، ومنحته ابتسامة أشدّ فتنة منها ، وهى تقول بلغة عربية ، ذات لكْنة فرنسية : ــ أنت ؟

ــ يقولون إنك تعلم الكثير عن وفاة زوجى .. أهذا صحيح ؟

هَزَّ رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ــ ليس إلى الحدّ الكافى .

ثم سألها فجأة :

ــ هل لى أن ألقِى عليك سؤالًا يا سيِّدتى ؟

رفعت حاجبيها الجميلين ، وهى تغمغم :

ــ بالتأكيد .

سألها فى اهتمام :

ــ أليس من العجب أن تتحدَّث فرنسية لغتنا العربية ، بهذه الطلاقة ؟

ابتسمت فى هدوء ، وقالت :

ــ إننى أدرس اللغة العربية منذ عامين .

سألها فجأة :

ــ لماذا ؟

بدا وكأن هذا السؤال قد أدهشها بالفعل ، وهى تحدّق فى وجهه لحظة ، قبل أن تغمغم فى ضيق :

ــ بمجرَّد الدراسة .. كما تدرس أنت الفرنسية مثلًا .

ابتسم (عصام) ، وهو يقول فى هدوء :

ـ آه .. هذا صحيح .

ساد بينهما الصمت لحظات ، ثم خُيِّل إليه أن صوت (برچيت) يحمل بعض الخشونة ، التى تتنافى مع مظهرها الرقيق ، وهى تقول :

ـ سمعت أنك تحوز شيئًا يملكه زوجى .

أومأ برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ـ هذا لو أنه زوجك .

عقدت حاجبيها ، وهى تقول فى توتُّر :

ـ ماذا تقصد ؟

أجابها فى هدوء :

ـ أقصد أن هذا الشىء يخصّ ورثة (چاك مارتين) ، وقبل أن يحصل عليه أى مخلوق ، ينبغى له أن يثبت لى ، أنه أحد هؤلاء الورثة بالفعل .

سألته فى عصبيَّة :

ـ وما الإثبات الذى تريده ؟

مال نحوها ، قائلًا فى هدوء :

ـ لقد كان (چاك) يحمل ورقة ، تحوى بضعة رموز ، أتعرفين ما هى هذه الرموز ؟

حَدَجته بنظرة باردة لحظة ، ثم قالت :

ـ بالطبع .

وفى هدوء ، أخرجت من حقيبتها ورقة ، ناولتها له ، قائلة :

ـ ها هى ذى .

كانت تلك الورقة تحوى نفس الصفوف الثلاثة المتوازية من الأرقام ، وبنفس الترتيب ، ولكنها لم تكن تحوِى تلك العبارة أعلاها ، فابتسم (عصام) ، قائلًا :

ـ لا يمكنك منحى إثباتًا أقوى .

وفى هدوء ، فتح درج مكتبه ، وناولها الصورة من داخله ، وهو يستطرد :

ـ وهذا يَعْنى أنك تملكين هذه .

ابتسمت (برچيت) فى هدوء ، ونهضت وهى تدسُّ الصورة فى حقيبتها ، وقالت :

ـ شكرًا يا مسيو (عصام) .. شكرًا لك .

ابتسم (عصام) ، وهو يقول :

ـ لا شكر على واجب يا سيِّدتى .. لقد كنت أؤدى واجبى ..

انصرفت بخطوات رقيقة ، وتابعها الجميع بأبصارهم فى انبهار ، حتى اختفت خارج القسم ، فغمغمت إحدى زميلات (عصام) :

ـ مجرَّد إتقان فى استخدام أدوات التجميل .

استقبلتها عبارات الاستهجان والاستنكار ، وهتف أحد الزملاء :

ـ لا بأس .. سأبتاع لك غدًا ، مجموعة من أفخر أدوات التجميل فى العالم ، ودَعِينا نرى ..

عقدت الزميلة حاجبيها فى غضب ، وهى تغمغم :

ـ يا للرجال !!

أما رئيس القسم ، فقد التفت إلى (عصام) ، هاتفًا :

ـ قُلْ لى يا (عصام) .. أهذه الفتنة المتحرِّكة جزء من تحقيقك ؟

أومأ (عصام) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ بل هى أهم جزء منه .. الجزء الشرير .

غمغم رئيس القسم فى أسف :

ـ يا للخسارة !

ابتسم (عصام) ، وهو يقول :

ـ الجمال جمال الروح يا سيِّدى .. أما هذه القشور ، فهى زائلة .. ومن يدرى ؟ قد تكون تلك الفاتنة مجرَّد أفعى .. أفعى سامَّة .

وأنبأت ابتسامته أنه يعرف الكثير .. الكثير جدًّا ..

* * *

١٠ ـ القلعة مرَّة أخرى ..

ارتسمت ابتسامة ظافرة على شفتى (برچيت) الجميلتين ، وهى تدلف إلى حجرة (بين) فى فندقه ، والتفت إليها هذا الأخير ، يسألها فى اهتمام :

ـ هل حصلت عليها ؟

أجابته فى زهو :

ـ (برچيت) لا تفشل أبدًا .

وأخرجت الصورة من حقيبتها ، فاختطفها منها (بين) فى لهفة ، وأخذ يقرؤها فى انفعال ، على حين استطردت هى فى فخر وسُخرية :

ليتك رأيتهم ، عندما دخلت إلى قسمهم .. لقد كادوا يسقطون صَرْعَى جمالى .

غمغم (بين) فى ضَجَر :

ـ صَهْ يا (برچيت) .. لقد سئمت غرورك .

هتفت غاضبة :

ـ هل تنكر أننى أجمل فتيات (فرنسا) ؟

هتف فى ضَجَر :

ـ كلَّا .. هلَّا التزمت الصمت ؟

عقدت حاجبيها الجميلين فى غضب ، وهى تلقِى جسدها على الفراش ، مغمغمة :

ـ يا لك من مغرور !

راح هو يراجع الأرقام فى اهتمام ، ثم لم يلبث أن تنهَّد فى ارتياح ، وقال :

ـ عظيم .. هل توجد نسخة أخرى ؟

غمغمت (برچيت) فى برود :

ـ كلَّا بالتأكيد .. من الواضح أنهم لم يفقهوا ما تَعْنِيه .

أومأ برأسه موافقًا ، وهو يغمغم :

ـ بالتأكيد .

ثم أخرج قدَّاحته ، وأشعل النار فى الصورة ، وألقاها فى منفضة السجائر ، ووقف يراقبها حتى احترقت تمامًا ، فعاد يتنهَّد فى ارتياح ، قائلًا :

ـ الآن يمكننا أن نشق فى أن المصريين يجهلون موضع كنزنا .

اكتفت (برچيت) بمطِّ شفتيها الرائعتين ، دون أن تنبس ببنتِ شَفَة ، فابتسم (بين) ، وقال :

ـ أما زلت غاضبة ؟

قالت فى برود :

ـ لست أغضب إلا ممن أُوليهم اهتمامًا .

أطلق ضحكة عالية ، وقال :

ـ كم تُروق لى أساليبك السخيفة .

ثم جلس إلى جوارها ، على طرف الفراش ، وداعب شعرها الذهبى ، قائلًا :

ـ أتُعلمين أن المصريين قد أنهوا الحراسة الخاصة ، التى وضعوها عند البرج المنهار ؟ وأنهم قد رفَّموا السُّلَّم الحجرى ؟

غمغمت فى هدوء :

ـ وما الذى يَعْنِيه ذلك ؟

ابتسم ، وهو يقول :

ـ يَعْنِى أننا نستطيع أن نتمَّ العملية غدًا ، ونسافر إلى (فرنسا) .

تنهَّدت فى شرود ، وهى تغمغم :

ـ ومنها إلى الوطن .

تمتم (بين) :

ـــ مباشرة .

التفتت إليه ، وابتسمت ، قائلة :

ـــ إلى الغد إذن .

ابتسم ابتسامة واسعة ، قائلًا :

ـــ إلى الغد ..

* * *

وجاء الغد ..

جاء يومًا عاديًا ، كتلك الأيام الدافئة ، فى أوائل فصل الشتاء ..

وتوقَّفت حافلة سياحية أمام قلعة (صلاح الدين) ، وهبط منها السائحون ، وهم يتطلَّعون إلى القلعة فى انبهار ..

ووسط هؤلاء ، كان ثلاثة أشخاص نعرفهم جيِّدًا ..

(بين) ، و (برچيت) ، و (ويليام) ..

وفى هدوء سار الثلاثة مع باقى السائحين ، حتى وصلوا إلى تلك القاعة ، حيث راح الدليل السياحى يشرح ويترجم الرسوم والكلمات بحماسته المعهودة ، على حين تسلَّلت (برچيت) إلى مدخل ذلك البرج المحظور ، الذى ما تزال بوَّابته تحمل تلك اللافتة ، باللغات الثلاث : العربية ،

والإنجليزية والفرنسية ، والتى تحظر الدخول ، على الرغم من الانتهاء من ترميم المكان ..

ومع مغادرة الدليل والسائحين للقاعة ، تخلَّف رجلان ، تظاهر أحدهما بإشعال سيجارته ، وبدا الثانى وكأنه يربط رباط حذائه المنحلّ ..

وخلت القاعة إلا من الرجلين ، و (برچيت) ، وأسرع الرجلان ينضمَّان إليها فى مدخل ذلك البرج ، و (ويليام) يقول فى انفعال :

ـــ لقد كان الأمر أكثر سهولة مما تصوَّرنا كثيرًا .. إن أحدًا لم يهتمّ بتخلُّفنا .

هَزَّت (برچيت) رأسها ، وهى تقول فى ازدراء :

ـــ حَمْقَى هم ، هؤلاء المصريون .

ابتسم (ويليام) و (بين) لتعليقها ، وهتف (بين) :

ـــ هيَّا .. لابدَّ أن نحصل على الكنز بسرعة ، وبعدها سندَّعى أننا قد ضللنا طريقنا ، ونلحق بالفوج .

أخرج (ويليام) من جيبه مُدية ـــ سويسرية ، من نفس ذلك النوع ، الذى وُجِد مع (چاك) ، وارتقى درجات السُّلَّم الحجرى فى سرعة ، حتى هتف به (بين) :

ـــ هنا ..

توقَّف (ويليام) حيث أشار (بين) ، الذى استطرد :

ــ إلى اليسار قليلًا .. نعم .. اهبط بيدك لعشرين سنتيمترًا .. هذا هو المكان .

تألَّقت عينا (ويليام) ببريق ظافر ، وفرد من مُديته جزءًا أشبه بمِعْوَل صغير ، وراح ينقِّب ذلك الجزء من الحائط فى سرعة ومهارة ، حتى صنع فجوة شبه مستديرة ، وهتف فى فوز :

ــ ها هو ذا .

أجابه (بين) فى انفعال :

ــ التقطه .. التقطه بسرعة ، وَدَعْنَا ننهى هذه اللُّعبة .

التقط (ويليام) من داخل التجويف جسمًا اسطوانيًا صغيرًا ، ألقاه إلى (بين) ، الذى التقطه فى لهفة ، وهتف فى خُفُوت :

ــ ها هو ذا .. لقد حصلنا عليه .

ثم أسرع يدير الجسم الأسطوانى فى حركة مدروسة ، حتى انفصل إلى جزأين .. نزعهما عن بعضهما البعض ، وهو يهتف :

ــ سنجده هنا ، فى الداخل ، و .....

• بتر عبارته فجأة ، واتسعت عيناه فى دهشة ، وهو يحدّق فى التجويف الخالى ، داخل الأسطوانة ، قبل أن يهتف فى ذُعر :

ــ يا للشيطان !!.. أين هو ؟.

وفجأة ، ارتفع صوت هادئ يقول :

ــ أتقصد هذا ؟

التفت (بين)، و(ويليام)، و(برجيت) فى حدَّة إلى مصدر الصوت ، وطالعهم وجه (عصام) ، الذى يمسك بين سبَّابته وإبهامه جسمًا مستديرًا ، أشبه بزرٍّ قميص صغير ، مستطردًا :

ــ معذرة .. لقد عثرت أنا عليه أوَّلًا .

وهنا هتف (بين) فى غضب :

ــ سنستعيده أيها الصحفى .

ولم يكد يتمّ عبارته ، حتى ارتفعت فُوَّهات مسدَّسات الثلاثة فى وجه (عصام) ، ومن عيونهم أطلَّ موت وحشى ..

* * *

١١ ــ المواجهة ..

كان ما فعله (عصام) هو آخر ما توقّعه الثلاثة ..

لقد أطلق ضحكة ساخرة عالية ..

أطلقها على نحو جمّد أصابعهم على أزندة مسدّساتهم ، وهم يحدّقون فى وجهه بدهشة ، قبل أن يهتف (بين) فى عصبيّة :

ــ لو أنك تتوقّع أنك ستربكنا بأسلوبك هذا ، فأنت واهم ، و .....

قاطعه (عصام) فى هدوء ساخر :

ــ اطمئن أيها الوغد .. لست أتوقّع ذلك .

احتقن وجه (بين) ، وهو يقول فى حدّة :

ــ هاتِ هذا الشىء .

قلّب (عصام) القرص المستدير بين أصابعه ، وهو يقول فى سُخرية :

ــ أتقصد هذا الميكروفيلم ؟

زمجرت (برچيت) ، قائلة :

ــ إذن فأنت تعرف كل شىء .

هزّ (عصام) رأسه نفيًا ، وهو يقول فى أسف :

ــ إننى لم أحظَ بهذا الشرف للأسف .

ثم استطرد فى زهوٍ :

ــ ولكن أصدقائى فعلوا .. وهم أيضًا مصريون .. لقد عرفوا كل شىء .

سأله (بين) فى عصبيّة :

ــ ماذا عرفوا ؟

أجابه (عصام) فى هدوء :

ــ الكثير .. لقد بدأ الأمر كله بمصرع (جاك مارتين) ، وعثورنا معه على ورقة غامضة ، وبعدها ظهر عدد من الأجانب ، الذين يتحدّثون العربية ، وجرت عدة محاولات لقتل من يعرفون سرّ تلك الورقة ، وعدة محاولات أخرى للحصول على أيّة نسخة لها ، مما أثار الشكوك ، وجعلنى أتصوّر أنكم تسعون خلف كنز فى القلعة ، وخاصةً عندما علمت أن ترجمة تلك العبارة ، فى بداية الورقة الغامضة ، هى (الكنز المفقود) ، وإن كنت لم أفهم ما الذى تعْنيهِ تلك

الأحرف ، التى تلت ذلك (٧ ــ د . م . ن) .. ولقد فشلت كل العلاقات الرياضية فى التوصُّل إلى الحلّ ، وحتى الكمبيوتر ، حتى جاء عقلان أكثر ذكاءً من الكمبيوتر .

صمت لحظة ، وكأنما يسترجع الأحداث ، ثم استطرد :

ــ لقد توصَّل (عماد) و (عُلا) إلى حلّ اللُّغز ، فى أثناء حديثنا عن (الموسوعة الثقافية) ، وعندما ذكر (عماد) أنه يحوز الطبعة الأولى .. عندئذ فهم الاثنان معنى تلك الأحرف .. لقد كان المقصود فى بداية الورقة الغامضة ، هو أن مفتاح حلّ تلك الأرقام ، هو رواية (الكنز المفقود) ، الطبعة السابعة ، من إصدار دار نشر فرنسية ، تحمل اسم (د . م . ن) .. لقد تم تحديد ذلك بدقة ، حتى لا يحدث أى لَبْس أو اختلاف .. فقد كانت تلك الصفوف الثلاثة المتوازية عبارة عن شفرة بالغة التعقيد ، فى حالة عدم معرفة ذلك المفتاح ، وبالغة السهولة عند معرفته ، فكل ما عليك ، بعد معرفة المفتاح ، هو أن تحصل على رواية (الكنز المفقود) ، الطبعة السابعة ، لدار النشر (د . م . ن .) ، ثم تجلس هادئًا ، وتترجم الرسالة ، فالصف الأوّل من الأرقام هو أرقام الصفحات فى الرواية ، والصف الثانى هو أرقام الأسطر ،

والصف الثالث هو ترتيب الكلمة فى السطر ، وهكذا ، وبعد اتباع تلك الوسيلة ، نجد أمامنا رسالة واضحة ، تطلب من متسلِّمها أن يذهب إلى القلعة ، وإلى ذلك البرج بالتحديد ، وأن يحصل على أسطوانة الميكروفيلم من مكان محدَّد بمنتهى الدِّقة ، وكل كلمات هذه الرسالة مأخوذة من الرواية .. أسلوب رائع فى نقل الرسائل الشفرية .. أليس كذلك ؟

لم ينبس أحدهم ببنتِ شَفَة ، فابتسم (عصام) ، وهو يتابع :

ــ ولقد تسلَّم (چاك مارتين) تلك الرسالة ، ويبدو أنه لم يكن محترفًا ، أو أنه كان تحت التدريب ، إذ أنه قد نسى التخلُّص من الرسالة ، مما أوقعكم فى مأزق بعد مصرعه ، ولكى نتفهَّم طبيعة ذلك المأزق ، لابدَّ لنا من أن نعود إلى البداية ، وهذه البداية هى كشف أمر أحد رجالكم هنا ، وشعوره بأن أمره قد كُشف ، على حين أنه يحمل ميكروفيلمًا بالغ الخطورة ، لابدَّ من إيصاله لكم .. ويهديه تفكيره إلى الحضور هنا ، فى وفد سياحى تقليدى ، ثم يختار ذلك البرج بالذات ، نظرًا لأن الدخول إليه محظور ، فيخفى فيه الميكروفيلم ، ثم يقع بعد ذلك فى أيدى رجالنا .. ومن سجنه ،

نجح فى أن يبلغكم ، بوسيلة ما ، عن موضع الميكروفيلم ، وربمّا عن طريق محامٍ أجنبى مثلًا ..

صمت لحظة ، وكأنما يُرُوق له رؤيــة الــدهشة على وجوههم ، قبل أن يتابع :

ــ وكان عليكم أن تتحرّكوا فى سرعة ، قبل أن يقع الميكروفيلم فى يد أحد المصريين ، ولو بطريق المصادفة ؛ لذا فقد أرسلتم تلك الرسالة إلى عميل نصف مؤهّل ، وهو (چاك مارتين) ، ليستعيد الميكروفيلم فى سرعة ، حتى يصل أحدكم ليتسلّمه منه .. ثم لقى (چاك) مصرعه ، وكان عليكم استعادة الرسالة بأيّة وسيلة ، خشية أن يحلّ أى مخلوق رموزها ، فيصل إلى الميكروفيلم قبلكم ، خاصة أن البرج قد أحيط بحراسة مشدّدة ، بعد مصرع (چاك) .

غمغم (ويليام) فى هلع :

ــ يا للشيطان !!

تجاهل (عصام) ذلك التعليق تمامًا ، وهو يستطرد :

ــ ولقد كان من الممكن أن ينتهى الأمر فى المعمل الجنائى ، عندما أطلقتم النار على الدكتور (على) ، وحرقتم الورقة ، ولكنكم علمتم هناك أننى قد حصلت على صورة للورقة ، فكان من الضرورى التخلّص منّى .

قمتم (بين) فى سُخط :

ــ كان من الضرورى أن يحدث ذلك .

ابتسم (عصام) ، وهو يقول :

ــ ولقد حاولتم ، ولكن كل محاولاتكم باءَت بالفشل ، حتى أوقعنا بزميلكم (فرانك) ، وهنا أخطأت أنا ، وقدته دون أن أدرى إلى قصة الكنز ، التى سيطرت على تفكيرى ، ولقد استغلّ هو هذا ، خاصة بعد أن علم أننا لم نتوصّل إلى حل رموز الورقة بعد ، فاعترف كذبًا بأن قصة الكنز حقيقية ، حتى يبعد أنظارنا وتفكيرنا عن لُعبتكم الحقيقية .

وانعقد حاجباه ، وحمل صوته صرامة لا مثيل لها ، وهو يستطرد :

ــ لُعبة الجاسوسية .

تبادل (بين) و (ويليام) و (برچيت) نظرة متوتّرة ، ثم قال (بين) فى عصبية ، وهو يجذب إبرة مسدّسه :

ــ إذن فأنتم تعلمون أنها لُعبة جاسوسية .

هزّ (عصام) كتفيه فى هدوء ، وهو يقول :

ــ لم يكن الأمر يحتاج إلى الكثير من الذكاء ، فمن سيسعى خلف ميكروفيلم ، سوى بضعة جواسيس .

رفع (بين) مسدّسه إلى وجه (عصام) ، وهو يقول فى صرامة :

ــ لقد وقّعت وثيقة موتك يا فتى .

ابتسم (عصام) فى سُخرية ، وهو يقول :

ــ أستقتلنى .

أومأ (بين) برأسه إيجابًا ، وقال :

ــ إنك لم تترك لنا الخيار .. إن مسدّساتنا مزوّدة بكواتم للصوت ، ولن يتسبّب موتك فى إزعاج الآخرين .

رفع الثلاثة مسدّساتهم فى وجه (عصام) ، وقال (بين) :

ــ وداعًا أيها الصحفى العبقرى .

وضغط الثلاثة أزندة مسدّساتهم ..

* * *

١٢ ــ الختام ..

انضغطت أزندة المسدّسات الثلاثة ، ولكن رصاصة واحدة لم تنطلق ..

كل ما صدر من المسدّسات الثلاثة مجرّد تكّة خافتة ، تشفُّ عن خلوّ المسدّسات الثلاثة من الذخيرة ، فاتسعت عينا (ويليام) فى ذُعر ، وتراجع (بين) فى حركة حادّة ، وشحُب وجه (برچيت) ، وهى تهتف :

ــ يا للشيطان !!

أطلق (عصام) ضحكة ساخرة ، وقال :

ــ هناك نقطة نسيت أن أخبركم بها .. لست وحدى أعلم كل ذلك .. هناك أيضًا إدارة مكافحة التجسُّس ، فى مباحث أمن الدولة ، والتى يرأسها صديقى العقيد (عادل محمود) .. وهو بالمناسبة رجل رائع .. لقد تسلّل إلى حجرات ثلاثتكم ، وأفسد مسدّساتكم .

غمغم (بين) فى ذُهول :

ــ أفسدها ؟!

أجابه (عصام) فى سُخرية :

ـــ بالتأكيد ، فلو أنه أفرغها من الرصاصتين ، لكان من المحتمل أن يحشوها أحدكم قبل مجيئكم إلى هنا ، ولو أنه استبدل بالرصاصات الحقيقية أخرى زائفة ، لكان من الممكن أن يكشف أحدكم الأمر ، وهو يفحص مسدَّسه ، فتنكشف اللُّعبة كلها ؛ لذا فقد عمد إلى وسيلة طريفة للغاية ، لقد بَرَد إبر إطلاق النار فى مسدَّساتكم ، فأصبحت أقصر من أن ترتطم بدائرة الإشعال فى الرصاصة ، وبذا تفقد مسدَّساتكم فاعليتها ، مع عدم قُدرة أى منكم على كشف ذلك ، إلا عندما تستخدمون المسدَّسات بالفعل .

احتقن وجه (بين) ، وهو يصرخ :

ـــ يا للشيطان !

ثم هتف ، وهو يركض نحو مدخل القاعة :

ـــ أسرعوا .. لابدَّ أن نفرَّ من هنا بسرعة .

اندفع (ويليام) ليلحق به ، إلا أن (عصام) استقبله بلكمة عنيفة فى فكّه ، وهو يقول :

ـــ إلى أين أيها الوغد ؟

دفعت اللكمة (ويليام) إلى الوراء، فارتطمت رأسه

بالحائط ، وسقط فاقد الوعى ، على حين صاحت (برچيت) فى شراسة ووحشية ، تتناقض تمامًا مع جمالها الفاتن :

ـــ ابتعد عن طريقى أيها الصحفى .. قلت لك ابتعد .

هتف (عصام) :

ـــ وإلى أين ستذهبين ؟.. لا يوجد لتلك القاعة سوى مخرجين ، أحدهما غادره (بين) الآن ، وسيجد رجال مكافحة التجسُّس فى انتظاره أسفله ، والآخر يقود إلى أعلى البرج .

صاحت (برچيت) فى جُنُون :

ـــ قلت لك ابتعد .

أجابها (عصام) فى صرامة :

ـــ من الأفضل أن تستسلمى .

تراجعت فى هلع ، واتسعت عيناها فى رُعب ، وهى تقول :

ـــ أستسلم ؟!.. إن هذا سيعنى ذُبُول جمالى فى السجن .

ثم تحسَّست عنقها فى ذعر ، مستطردة :

ـــ أو إعدامى .. إنكم تعدمون الجواسيس هنا .. أليس كذلك ؟

اقترب (عصام) منها ، وهو يقول فى صرامة :

ــ لم يَعُد هناك مفرّ .. لقد سقطت .

تراجعت ، وهى تهتف فى هلع :

ــ مستحيل .. مستحيل .

ثم استدارات فجأة ، وانطلقت تعدُو صاعدة الدرجات الحجرية ، فاندفع (عصام) خلفها ، وهو يهتف :

ــ لا فائدة يا (برچيت) .. لا فائدة .

انتهى بهما العَدْو إلى قمة البرج ، الذى يرتفع ارتفاعًا شاهقًا ، فتوقّفت (برچيت) عند سوره ، وتطلّعت إلى أسفل فى يأس وإحباط ، وتطاير شعرها الذهبى الناعم الطويل ، فى مشهد رائع ، توقّف (عصام) يتطلّع إليه لحظة ، قبل أن يقترب منها فى حذر ، مغمغمًا :

ــ استسلمى يا (برچيت) .. لم يَعُد أمامك سوى ذلك .

قالت فى مرارة ، وقد انهمرت دموعها على وجنتيها :

ــ مستحيل .. لقد أمسكم زميلة لى منذ عامين ، وأعدمتموها بلا رحمة .

أجابها فى خُفوت :

ثم استدارت فجأة ، وانطلقت تعدُو صاعدة الدرجات الحجرية ، فاندفع (عصام) خلفها ..

ـ إنه قانوننا .

صرخت فى مرارة :

ـ وأنا أرفضه .

ثم قفزت تعتلى السور ، صارخة :

ـ وداعًا أيها الصحفى .

اندفع (عصام) نحوها ، هاتفًا :

ـ كلَّا يا (برچيت) ..

ولكن .. سبق السيف العزل ..

لقد هوَت أفعى الخيانة ..

وتحطَّم الشَّر عند سفح المقطَّم ..

* * *

ابتسم الدكتور (على) ، وهو يرقد فى فراشه ، فى مستشفى (قصر العينى) ، يطالع مقال (عصام) الأخير ، وقال وهو يهزُّ رأسه فى إعجاب :

ـ مقال رائع حقًا .

ابتسمت ممرضته ، وهى تسأله :

ـ هل أعجبك حقًا ؟

أجابها فى حماس :

ـ بالتأكيد .

هتفت الممرضة فى إعجاب :

ـ كم أتمنى مقابلة الأستاذ (عصام) .. إننى أتابع كل تحقيقاته فى شغف :

التفت إليها الدكتور (على) ، وقال وهو يطوى الجريدة :

ـ لقد شاركته بعض قضاياه .. هل قرأتها ؟

ضحكت ، وهى تقول :

ـ بالتأكيد .

ابتسم قائلًا :

ـ ألا أستحق بعض الإعجاب أيضًا ؟

أتاه صوت مرح ، يقول :

ـ فى عالم الأحياء ، أم عالم الموتى ؟

تهلَّلت أسارير (على) ، وهو يهتف :

ـ (عصام) ؟!.. يا لسعادتى برؤيتك !

اتسعت عينا الممرضة ، وهى تحدِّق فى وجه (عصام) فى انبهار ، وهو يصافح الدكتور (على) ، قائلًا فى حرارة :

ـ كيف حالك يا صديقى العزيز .. تقبَّل أسفى ؛ لأننى لم أحضر لزيارتك منذ البداية ، ولكن .....

قاطعه الدكتور (على) فى سعادة :

ـ لا عليك يا صديقى .. إننى أُقدّر موقفك .

جلس (عصام) إلى جواره ، مغمغمًا :

ـ لقد كانت قضية مرهقة فى الواقع .

ابتسم الدكتور (على) ، وهو يقول :

ـ لقد كنت رائعًا هذه المرّة .

ابتسم (عصام) ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

ـ على أى نحو ؟!.. إننى لم أفعل شيئًا كالمعتاد .

هتف الدكتور (على) فى استنكار :

ـ كيف تقول هذا يا عزيزى ؟.. من الذى التقط صورة الورقة إذن ؟.. ومن قاتل الجواسيس ، وانتصر عليهم أكثر من مرّة ؟.. لماذا تصرُّ على أن تهضم نفسك حقها دَوْمًا .

غمغم (عصام) :

ـ إننى لم أتوصّل إلى الحل الصحيح مرّة واحدة ، فى حياتى كلها .

ضحك الدكتور (على) ، وهو يقول :

ـ ولكنك تقاتل فى كل مرّة ، ولولا قتالك ، ما توصّل أحد إلى حلول .

لم يكد يتمُّ عبارته ، حتى سمع الاثنان همهمة عالية ، أعقبها

اقتحام عشرات الممرضات للحجرة ، وفوجئ بهنَّ (عصام) يلتففن حوله ، ويصافحنه فى حرارة وسعادة ، وسمع إحداهن تقول فى انبهار :

ـ أستاذ (عصام) .. كم تسعدنى رؤيتك .

وأضافت أخرى :

ـ إننا نتابع تحقيقاتك فى شغف هائل .

وأكملت أخرى :

ـ حتى اللقب الذى اخترته .. لقب (ع×٢) غامض مثير .

وهتفت رابعة :

ـ صدّقنى .. إنك بطلنا المفضّل .

ضحك الدكتور (على) ، وهو يقول :

ـ هل رأيت يا صديقى ؟. هذا ما كنت أقصده .. مهما كان رأيك فى نفسك ، ومهما كانت الحقائق ، فستظل أنت البطل فى عيون الجميع .

ثم ابتسم ابتسامة واسعة ، وهو يردف فى اعتزاز :

ـ ووحدك ستحمل فى القلوب ذلك اللقب .. لقب (ع×٢) .

* * *

[تمت بحمد الله]

مغامرات ع × ٢

سلسلة قصصية بوليسية مثيرة للشباب

تنمّي العقل وتحفز الفكر والذكاء

المؤلف

د. نبيل فاروق

قضية كنز القلعة

- رجل تسلّل إلى القلعة، بحثًا عن شيء ما، ثم لقي مصرعه، وترك خلفه ورقة غامضة، تحوى لغزًا مثيرًا، وتخفي كنزًا رائعًا، ولكن هل يتوصّل أحد إلى حلّ غموض هذا الكنز؟
- تُرى.. ماذا يفعل (عصام)، وفريق ع × ٢ في هذا اللُّغز الجديد؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة، وحاول أن تسبق الجميع إلى حلّ اللُّغز.

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

العدد القادم

(قضية شبح الضحية)